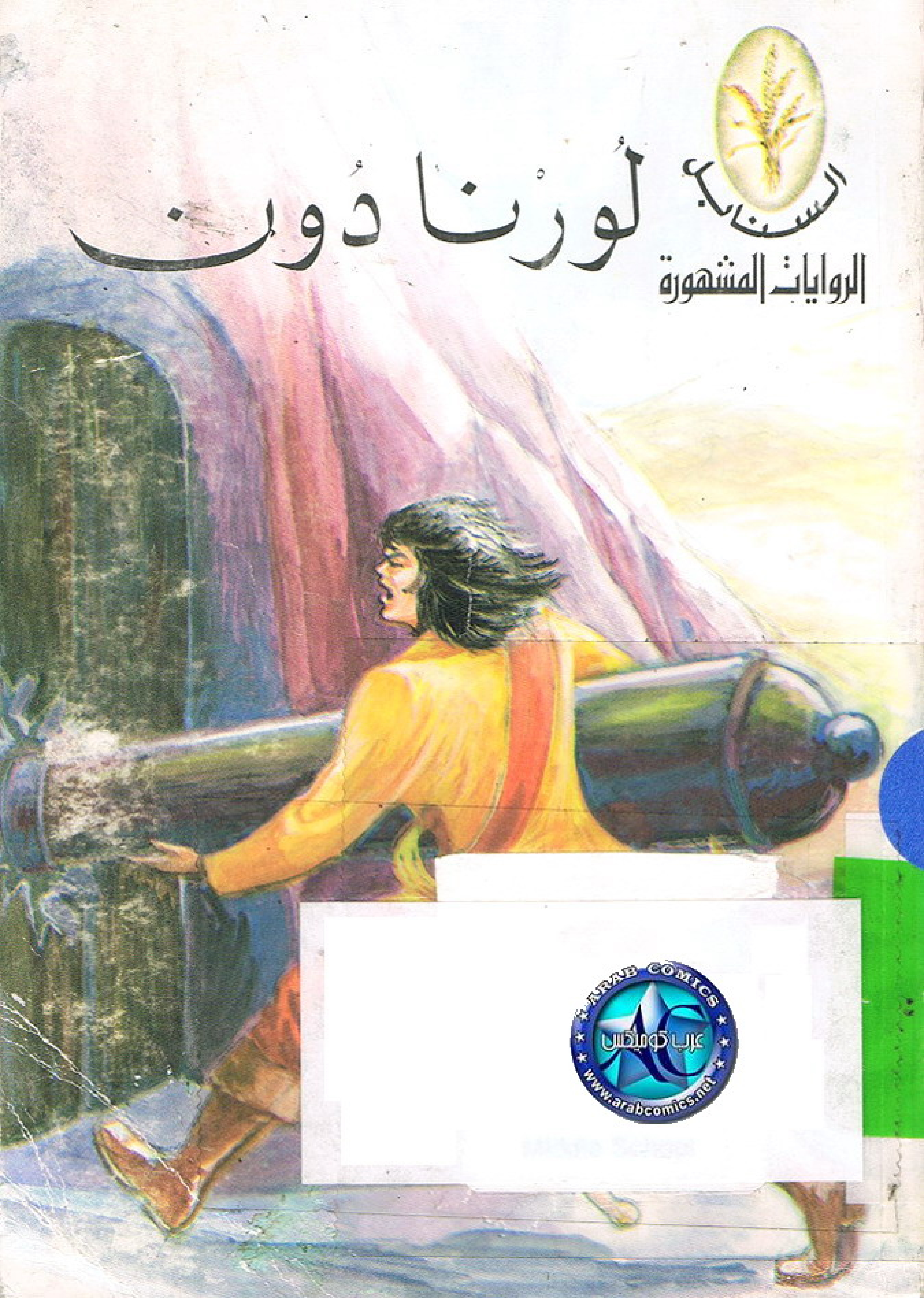

لورنا دون
سنابل
الروايات المشهورة
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net



السنابل

الروايات المشهورة

# لورنا دون



تأليف : ر. د. بلاكمور

إعداد : شوقي رياض السنورسي

رسوم : محمّد نبيل عبد العزيز

مكتبة لبنان

بيروت

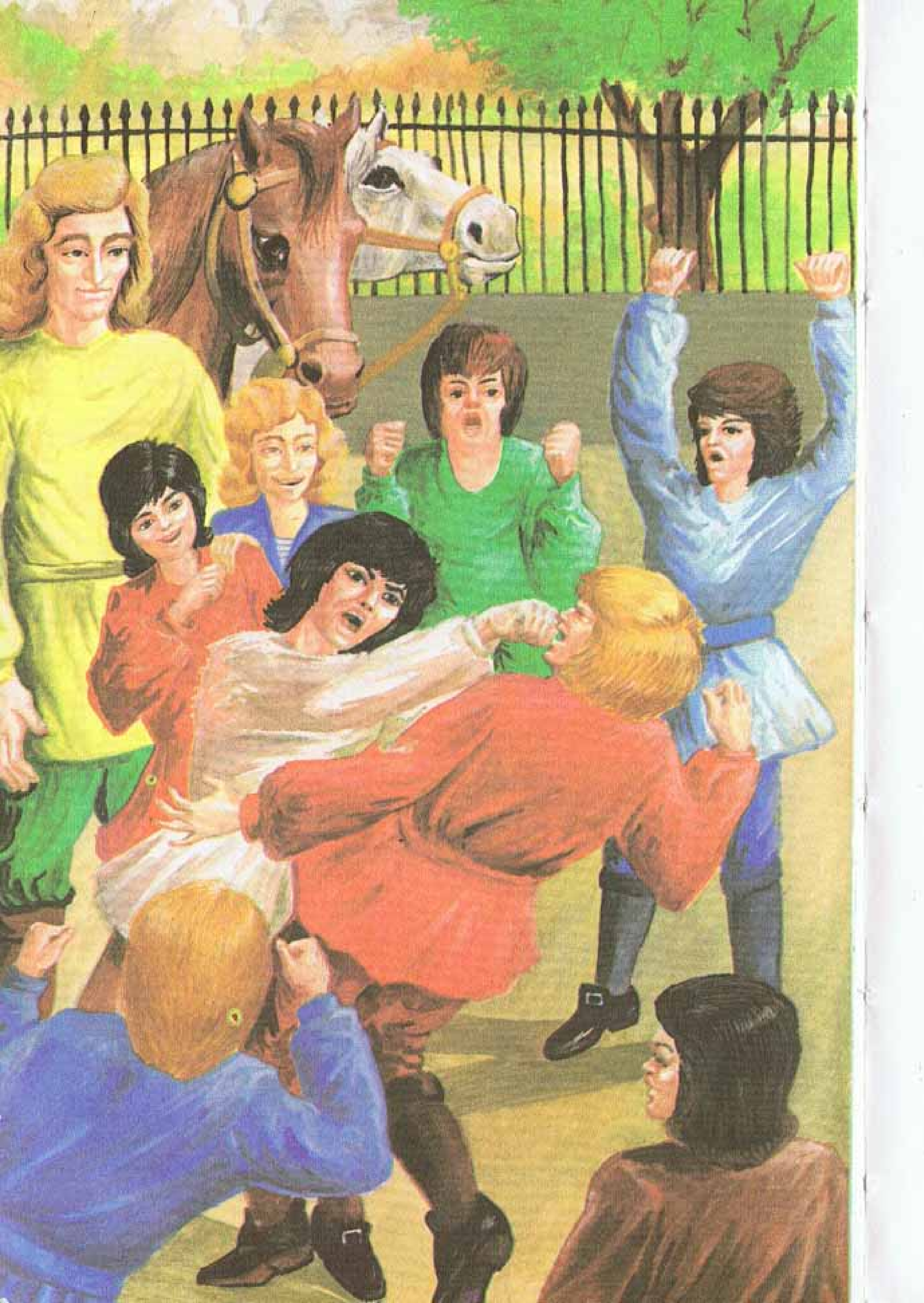


١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة



| |
|---|
| الطبعة الثانية |
| رقم الإيداع : ٢٢٩١ / ٨٨ |
| الترقيم الدولى : ISBN ٩٧٧-١٤٤٥-٤٩-٥ |

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة



## الفَصْلُ ٱلأَوَّلُ

### انْقِطاعي عَنِ ٱلمَدْرَسةِ

اسْمِي جُون رِد ، وَأَعيشُ في قَرْيَةِ « أُوير » بإقْليمِ « سُومِرْسِت » بإنْجِلْتِرا . وَسَوْفَ أَحْكي لَكُمْ عَنْ أَحْداثٍ مُثيرةٍ وَقَعَتْ في هٰذِهِ ٱلبُقْعةِ مِنَ ٱلعالَمِ خِلالَ حَياتِي .

كانَ والِدي يَعْمَلُ في مَزْرَعةٍ آلَتْ إلَيْهِ عَنْ جَدِّي . وَقَدْ تَوارَثْنا هٰذِهِ ٱلمَزْرَعةَ أَبًا عَنْ جَدٍّ مُنْذُ مِئاتِ ٱلسِّنِينَ . وَلَمَّا حانَ وَقْتُ انْتِظامِي في ٱلدِّراسةِ ، ٱلتَحَقْتُ بِمَدْرَسةِ « بْلَنْدِل » في مَدينةِ « تِيفِرْتُون » . وَلَوْ أَمْعَنْتَ ٱلنَّظَرَ في إحْدَى ٱللَّوْحاتِ ٱلمُعَلَّقةِ بِهٰذِهِ ٱلمَدْرَسةِ ، لَقَرَأْتَ ٱسْمِي مَحْفُورًا عَلَيْها . وَلَمْ أَتَلَقَّ سِوَى قَليلٍ مِنَ ٱلعِلْمِ بِها ، لِأَنَّني تَرَكْتُها مُبَكِّرًا .

وَهٰذِهِ قِصَّةُ تَرْكي لِلْمَدْرَسةِ في ٱلتَّاسِعِ وَٱلعِشْرينَ مِنْ شَهْرِ نُوفَمْبِر عامَ ١٦٧٣ م .

كُنْتُ عائِدًا مِنَ ٱلمَدْرَسةِ مَعَ زُمَلائِي في ٱلسَّاعةِ ٱلخامِسةِ حِينَ كانَ صَفٌّ طَويلٌ مِنَ ٱلجِيادِ ٱلمُحَمَّلةِ بِٱلبَضائِعِ يَسيرُ عَلى ٱلطَّريقِ في حِراسةِ بَعْضِ ٱلجُنودِ ؛ إذْ كانَ يُظَنُّ أَنَّ مِسْتَر فاجِّس قَريبٌ مِنَ ٱلمَكانِ ، وَأَنَّهُ قَدْ يَسْطو عَلى هٰذِهِ ٱلبَضائِعِ . وَكانَ مِسْتَر فاجِّس ابْنَ عَمِّي ، وَكانَ مَعْروفًا لِلْجَميعِ بِأَنَّهُ مِنْ قُطَّاعِ ٱلطُّرُقِ .

أَسْرَعْنا جَميعًا نَحْوَ بَوَّابةِ ٱلمَدْرَسةِ لِنَرَى ٱلجِيادَ وَٱلجُنودَ وَهُمْ يَمُرُّونَ .

وَبَيْنما كُنَّا نَتدافَعُ لِلْخُروجِ ، لَكَمَني أَحَدُ ٱلتَّلاميذِ ، وَٱسْمُهُ رُوبِن سْنِلّ ، في بَطْني . وَتَملَّكَني ٱلغَضَبُ ، وَرَدَدْتُ عَلَيْهِ بِلَكْمةٍ في وَجْهِهِ . فٱنْدَفَعَ إِلَيَّ وَضَرَبَني بِعُنْفٍ ضَرْبَةً أَوْقَعَتْني أَرْضًا .

تَصايَحَ ٱلغِلْمانُ : « ٱنْهَضْ ياجُون ! لَقَدْ ضَرَبَكَ وَرَدَدْتَ إِلَيْهِ ٱلضَّرْبَةَ ، وَلَنْ يَحْسِمَ ٱلأَمْرَ بَيْنَكُما سِوَى مَعْرَكَةٍ . »

ٱقْتَرَبَ مِنَ ٱلمَكانِ رَجُلٌ يَجُرُّ جَوادَيْنِ . وَسَأَلَ ٱلرَّجُلُ : « هَلْ رَأى أَحَدٌ مِنْكُمْ جُون رِد ؟ » كانَ ٱلسَّائِلُ هُوَ جُون فراي ٱلخادِمَ في مَنْزِلِنا .

تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ قائِلًا : « لِماذا حَضَرْتَ في هٰذا ٱلوَقْتِ ياجُون ؟ إِنّ ٱلدِّراسة مُسْتَمِرَّةٌ حَتَّى ٱلشَّهْرِ ٱلقادِمِ ، وَأَمامي شَهْرٌ آخَرُ مِنَ ٱلدِّراسةِ . »

أَدارَ جُون فراي وَجْهَهُ بَعيدًا عَنّي ، ثُمَّ قالَ :

« أَعْرِفُ ذٰلِكَ ، غَيْرَ أَنَّ أُمَّكَ في ٱلمَنْزِلِ تَطْهو ٱلطَّعامَ ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَدْ أُعِدَّ لَكَ ٱلآنَ . »

سَأَلْتُهُ : « كَيْفَ حالُ والِدي ؟ لَقَدِ ٱعْتادَ دائِمًا أَنْ يَأْتِيَ في بَدْءِ ٱلإِجازةِ لِٱصْطِحابي إِلى ٱلبَيْتِ . »

أَجابَ جُون فراي ، وَقَدْ خَفَضَ بَصَرَهُ : « إِنَّهُ ٱلآنَ عَلى ٱلجانِبِ ٱلآخرِ مِنَ ٱلتَّلِّ . » وَأَدْرَكْتُ حِينَئِذٍ أَنَّهُ لا يُخْبِرُني بِٱلحَقيقةِ .

سَأَلْتُهُ : « هَلْ يُمْكِنُني أَنْ أُنْهِيَ ٱلمَعْرَكَةَ مَعَ هٰذا ٱلغُلامِ أَوَّلًا ياجُون ، أَمْ يَتَحَتَّمُ أَنْ نَرْحَلَ ٱلآنَ ؟ »

أَجابَ : « كَلَّا ! بَلْ خُضِ ٱلمَعْرَكَةَ . سَوْفَ تَخوضُ مَعارِكَ كَثيرةً في



حَياتِكَ ، وَلابَأْسَ مِنْ أَنْ تَبْدَأَ مِنَ ٱلآنَ . »

كانَ رُوبِن سْنِلّ أَضْخَمَ مِنّي جِسْمًا . وَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُرَكِّزَ ذِهْني في ٱلمَعْرَكةِ بادِئَ ٱلأَمْرِ ، إِذْ كُنْتُ أُفَكِّرُ فِيما قالَهُ جُون فراي عَنْ والِدي . وَلٰكِنْ ما إِنْ لَكَمَني رُوبِن في وَجْهي حَتَّى جُنَّ جُنوني ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ ٱلضَّرْبَةَ في ٱلحالِ . وَدارَ ٱلنِّزالُ بَيْنَنا نَحْوَ ثَلاثِ دَقائِقَ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ صاحَ ٱلغُلامُ ٱلَّذي يَحْكُمُ بَيْنَنا قائِلًا : « ٱنْتَهَتِ ٱلجَوْلَةُ ! »

تَوَقَّفْنا وَٱسْتَرَحْنا قَليلًا . وَبَدَأَتِ ٱلجَوْلَةُ ٱلثَّانِيةُ أَكْثَرَ حَذَرًا ، إِذْ أَخَذْتُ أُناوِرُ خَصْمي إِلى أَنْ تَمَلَّكَهُ ٱلإِجْهادُ . وَكانَ جُون فراي خارِجَ حَلْقَةِ ٱلأَوْلادِ ، يَقْتَرِبُ بَيْنَ ٱلحينِ وَٱلحينِ لِيَسْأَلَ عَنْ أَنْباءِ ٱلمَعْرَكَةِ .

« سَلِمَتْ يَمينُكَ ياجُون ! » هَتَفَ بَعْضُ ٱلمُتَفَرِّجِينَ ، عَلى حِينَ صاحَ آخَرونَ :

« أَجْهِزْ عَلَيْهِ ! اِطْرَحْهُ أَرْضًا ! »

مَرَّةً أُخْرى سَمِعْتُ ٱلحَكَمَ يَصيحُ : « ٱنْتَهَتِ ٱلجَوْلَةُ ! »

وَفي ٱلجَوْلَةِ ٱلأَخيرةِ عَقَدْتُ ٱلعَزْمَ عَلى أَنْ أَنْتَصِرَ عَلى رُوبِن سْنِلّ أَوْ لا أَرى مَنْزِلي أَبَدًا مَرَّةً ثانِيةً . وَقَهْقَهَ ٱلخَصْمُ ساخِرًا في وَجْهي ، فَتَمَلَّكَني غَضَبٌ شَديدٌ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ سَدَّدَ إِلَيَّ ضَرْبَةً بِيَدِهِ ٱليُسْرَى غَيْرَ أَنَّني تَفادَيْتُها بِحَرَكَةٍ مِنْ رَأْسي . وَسَرْعانَ ما ناوَلْتُهُ بِيَميني لَكْمةً قَوِيَّةً بَيْنَ عَيْنَيْهِ . كانَتْ تِلْكَ هِيَ ٱلضَّرْبَةَ ٱلقاضِيةَ ٱلَّتي أَنْهَتِ ٱلمَعْرَكَةَ . وَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ عاوَنْتُ في حَمْلِ رُوبِن سْنِلّ إِلى فِراشِهِ .

## الفصلُ ٱلثّاني

## مُعاداةُ آلِ دُون

كانَ ٱلطَّريقُ مِنْ تِيفِرْتُون إلى أُوير طَويلًا وَوَعْرًا . وَكانَ مِنَ ٱلعَسيرِ عَلى ٱلمُسافِرِ أَنْ يَطْمَئِنَّ إلى مَواضِعِ خُطاهُ في بَعْضِ أَجْزاءِ هٰذا ٱلطَّريق .

غادَرْنا تِيفِرْتُون مُبَكِّرَيْنِ في ٱلصَّباحِ ، وَعَبَرْنا نَهْرَيْنِ ، ثُمَّ وَصَلْنا دَلْفِرْتُون في مُنْتَصَفِ ٱلنَّهارِ . وَكانَ جُون فراي يُخْفي عَنِّي سَبَبَ حُضُورِهِ ٱلمُفاجِئِ ؛ كانَ مِنَ ٱلواضِحِ أَنَّهُ يَكْذِبُ عَلَيَّ .

تَناوَلْنا طَعامَ ٱلغَداءِ في دَلْفِرْتُون ، ثُمَّ تَوَجَّهْتُ إلى فِناءِ ٱلدَّارِ ٱلَّتي نَزَلْنا بِها لِأَغْسِلَ يَدَيَّ . حِينَئِذٍ خَرَجَتْ مِنَ ٱلبَيْتِ امْرَأَةٌ شابَّةٌ ، كانَ يَبْدو أَنَّها إِيطالِيَّةٌ . وَتَطَلَّعَتْ إِلَيَّ قائِلَةً : « تَعالَ إِلَيَّ يا صَغيرِيَ ٱلعَزيزَ . أَنا « بِينِيتَّا » خادِمَةُ ٱلسَّيِّدَةِ ٱلمُبَجَّلَةِ . ياإِلٰهي ! ما هٰذِهِ ٱلآثارُ ٱلزَّرْقاءُ ٱلَّتي تَظْهَرُ عَلى وَجْهِكَ ؟ هَلْ ضَرَبَكَ أَحَدٌ ؟ »

أَجَبْتُها في اقْتِضابٍ : « يَجِبُ أَنْ أَذْهَبَ ٱلآنَ . إِنَّ جُون فراي يَنْتَظِرُني . »

سَأَلَتِ ٱلمَرْأَةُ : « كَمْ تَبْعُدُ بَلْدَةُ « واتْشِت » عَنْ هُنا ؟ »

« إِنَّها تَبْعُدُ مَسافَةً طَويلَةً ، وَٱلطَّريقُ إِلَيْها وَعْرٌ مِثْلُ ٱلطَّريقِ إلى أُوير . »

« أُوير ! سَوْفَ أَتَذَكَّرُ هٰذا ٱلمَكانَ جَيِّدًا . هَلْ تَعيشُ هُناكَ ؟ قَدْ أَذْهَبُ



إلى هٰذِهِ ٱلبَلْدَةِ ذاتَ يَوْمٍ لِأَراكَ . وَٱلآنَ أَرْجوكَ أَنْ تَمْلَأَ لِسَيِّدَتي هٰذا ٱلكوبَ ماءً . »

مَلَأْتُ ٱلكُوبَ ، وَعادَتِ ٱلمَرْأَةُ أَدْراجَها إلى ٱلدّارِ .

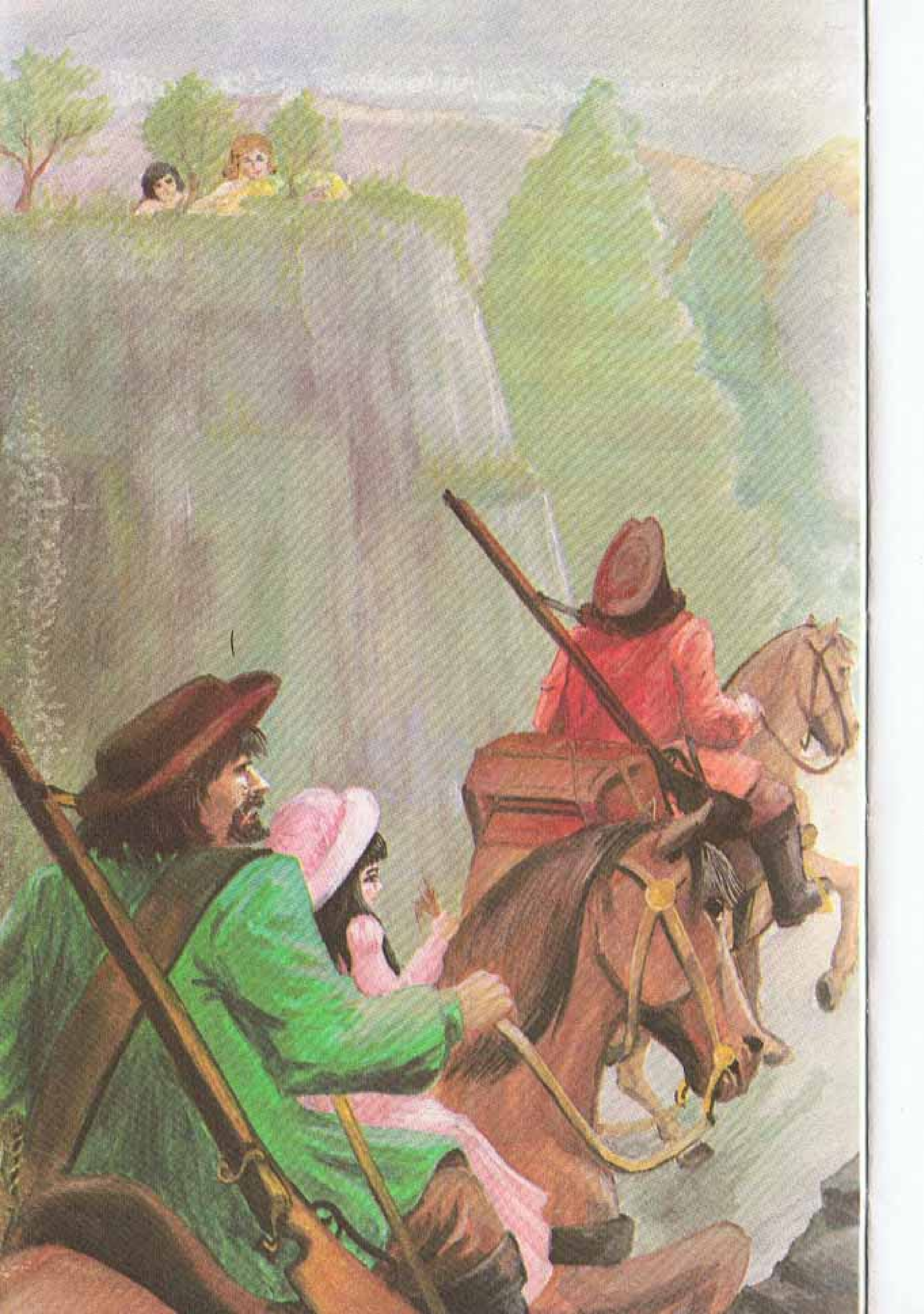
اِمْتَطَيْنا – أَنا وَجُون فراي – جَوادَيْنا . وَما إِنْ سِرْنا بَعْضَ ٱلوَقْتِ حَتَّى مَرَرْنا بِمَرْكَبَةٍ ضَخْمَةٍ تَصْعَدُ ٱلجَبَلَ تَجُرُّها سِتَّةُ جِيادٍ . وَلَمَحْتُ في داخِلِ ٱلمَرْكَبَةِ ٱلخادِمَةَ ٱلَّتي قابَلْتُها حِينَ كُنْتُ أَغْسِلُ وَجْهي ، وَكانَتْ في رِفْقَةِ سَيِّدَةٍ تَبْدو عَلَيْها عَلاماتُ ٱلهَيْبَةِ وَٱلوَقارِ . وَكانَتْ تَجْلِسُ إلى جِوارِ ٱلسَّيِّدَةِ فَتاةٌ صَغيرَةٌ ذاتُ شَعْرٍ فاحِمٍ رائِعِ ٱلجَمالِ . وَرَفَعْتُ قُبَّعَتي تَحِيَّةً لَهُنَّ ، فَلَوَّحَتْ لي ٱلفَتاةُ . وَلٰكِنْ سَرْعانَ ما اخْتَفَتِ ٱلمَرْكَبَةُ عَنِ ٱلأَنْظارِ عِنْدَما عَرَّجْنا إلى طَريقٍ جانِبِيٍّ وَانْطَلَقْنا في طَريقِنا . وَكانَ ٱلضَّبابُ ٱلكَثيفُ يُظَلِّلُ تِلْكَ ٱلمِنْطَقَةَ حَتَّى أَصْبَحَ مِنَ ٱلعَسيرِ أَنْ نَرى أَبْعَدَ مِنْ خُطْوَةٍ أَوْ خُطْوَتَيْنِ .

كانَ جُون فراي عَلى وَشْكِ أَنْ يَغْفُوَ عِنْدَما تَنَبَّهَ قائِلًا : « أَيْنَ نَحْنُ ٱلآنَ ؟ »

فُوجِئْتُ بِشَيْءٍ مُتَدَلٍّ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتي أَمامي ، وَغَشِيَني رُعْبٌ شَديدٌ . كانَ هٰذا ٱلشَّيْءُ جُثَّةَ رَجُلٍ !

سارَعْتُ أَسْأَلُ : « مَنْ هٰذا ٱلشَّخْصُ ٱلمُعَلَّقُ عَلى ٱلشَّجَرَةِ ياجُون ؟ هَلْ شَنَقُوا واحِدًا مِنْ عائِلَةِ دُون ؟ »

« شَنَقُوا واحِدًا مِنْ عائِلَةِ دُون !! لا تَكُنْ أَحْمَقَ ، فَإِنَّ ٱلمَلِكَ نَفْسَهُ لا يَجْرُؤُ عَلى شَنْقِ أَحَدِ أَفْرادِ هٰذِهِ ٱلعائِلَةِ ! هٰذا لِصٌّ يُدْعَى رِد جيم . »



اسْتَأْنَفنا ٱلسَّيْرَ . وَأَرَدْتُ أَنْ أَعْرِف ٱلمَزيدَ عَنْ رِد جيم ، فَسأَلْتُ : « مَنْ هُوَ رِد جيم ؟ »

أَجابَ جُون : « صَهٍ ! نَحْنُ ٱلآنَ عَلى مَقْرَبةٍ مِنَ الطَّريقِ ٱلخاصِّ بِآلِ دُون . يَجِبُ أَنْ نَسيرَ في هُدوءٍ تامٍّ ، فَقَدْ يَخْرُجونَ ٱللَّيْلَةَ في إِحْدَى جَوْلاتِهِمْ بِٱلمِنْطَقة . آل دُون قَتَلةٌ ، لُصوصٌ ! وَهُمْ عائِلةٌ شَهيرةٌ في إِقْليمِ « باغورْذي » ، يَكْرَهُها ٱلجَميعُ وَيَخْشَوْنَها بِشِدَّةٍ . »

« وَلٰكِنْ هَلْ تَظُنُّ ياجُون أَنَّهُمْ يَسْتَطيعونَ رُؤْيَتَنا في مِثْلِ هٰذا ٱلضَّبابِ ٱلكَثيف ؟ »

« إِنَّهُمْ يَسْتَطيعونَ ٱلرُّؤْيةَ مَهْما كانَ ٱلضَّبابُ كَثيفًا . لَمْ يُوجَدْ بَعْدُ ضَبابٌ يَحْجُبُ ٱلرُّؤْيَةَ عَنْ أَبْصارِ آلِ دُون . وَٱلآنَ يابُنَيّ ، هَيَّا نَنْطَلِقُ في هُدوءٍ ، إِذا كُنْتَ تَبْغي ٱلبَقاءَ عَلى قَيْدِ ٱلحَياةِ حَتَّى تَرى أُمَّكَ . »

وَصَلْنا واديًا عَميقًا . وَقَبْلَ أَنْ نَهْبِطَ إِلَيْهِ سَمِعْتُ وَقْعَ حَوافِرِ جيادٍ تَعْدُو فَوْقَ ٱلأَرْضِ ٱلرَّخْوةِ ، وَصَوْتَ أَنْفاسٍ لاهِثةٍ لِفُرْسانٍ مُتْعَبين .

ناداني جُون في صَوْتٍ خَفيضٍ قائِلًا : « انْزِلْ مِنْ فَوْقِ حِصانِكَ ، وَأَطْلِقْهُ . »

اسْتَلْقَينا عَلى ٱلأَرْضِ خَلْفَ شُجَيْرةٍ . وَكانَ ٱلطَّريقُ يَمْتَدُّ طَويلًا مِنْ تَحْتِنا . وَفي ٱلحالِ مَرَّ أَوَّلُ ٱلرَّاكِبينَ ، ثُمَّ ٱنْقَشَعَ ٱلضَّبابُ فَجْأَةً فَظَهَرَ لَنا ضَوْءٌ أَحْمَرُ مِنْ بَعيدٍ .

هَمَسَ جُون في أُذُني قائِلًا : « إِنَّها ٱلنَّارُ يُشْعِلونَها فَوْقَ جَبَلِ « دَنْكِري » لِيُبَيِّنوا لِرِجالِ آلِ دُون ٱلطَّريقَ إِلى مَنازِلِهِمْ . »

كُنْتُ مُسْتَلْقِيًا عَلى ارْتِفاعِ عِشْرينَ قَدَمًا فَقَطْ فَوْقَ ٱلرَّاكِبينَ .

كانُوا رِجالًا ضِخامًا مُسَلَّحينَ بِٱلبَنادِقِ ، كَما كانُوا يَحْمِلونَ ٱلأَشْياءَ ٱلَّتي نَهَبوها فَوْقَ جِيادِهِمْ : فَناجينَ مَصْنوعةً مِنَ ٱلفِضَّةِ وَٱلذَّهَبِ ، وَحَقائِبَ ، وَصَناديقَ ، وَأَغْنامًا مَذْبوحةً . وَكانَ أَحَدُهُمْ يَحْمِلُ فَتاةً صَغيرةً عَلى جَوادِهِ . كانَتْ تَرْتَدي مَلابِسَ جَميلةً جَذَّابةً ، وَكانَتْ هِيَ ٱلفَتاةَ نَفْسَها ٱلَّتي سَبَقَ أَنْ رَأَيْتُها جالِسةً في ٱلمَرْكَبةِ .

لَمْ يَكُنْ هٰؤُلاءِ ٱلرِّجالُ ٱلأَشِدَّاءُ يَعْلَمونَ حينَئِذٍ أَنَّ هٰذِهِ ٱلفَتاةَ ٱلصَّغيرةَ سَوْفَ تَكونُ في ٱلسَّنَواتِ ٱلقادِمةِ سَبَبَ هَلاكِهِمْ وَإِحْراقِ بُيوتِهِمْ .

لَمْ يَأْتِ وَالِدي لِلِقائي . وَعِنْدَ بابِ ٱلدَّارِ تَناهَى صَوْتُ نَحيبٍ إِلى أُذُنَيَّ . وَكانَتْ أُمِّي هِيَ ٱلَّتي تَبْكي .

لَقَدْ ماتَ والِدي ... قَتَلَهُ آلُ دُون ٱلمُجْرِمونَ !



# الفَصْلُ ٱلثَّالِثُ

## مَقْتَلُ والِدي

قُتِلَ والِدي بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ آلِ دُون .

كانَ عائِدًا عَلى ظَهْرِ جَوادِهِ إِلى ٱلمَنْزِلِ مِنْ بَلْدَةِ « بورْلُوك » ٱلصَّغيرةِ بِصُحْبَةِ خَمْسةِ مُزارِعينَ . وَفَجْأَةً ظَهَرَ أَمامَهُمْ رَجُلٌ مِنْ آلِ دُون ، وَأَمَرَهُمْ بِتَسْليمِ كُلِّ ما مَعَهُمْ مِنْ نُقودٍ . وَشَرَعَ ٱلمُزارِعونَ ٱلخَمْسةُ في تَنْفيذِ ٱلأَمْرِ ، وَلٰكِنَّ والِدي تَقَدَّمَ بِجَوادِهِ مُباشَرةً نَحْوَ ذٰلِكَ ٱلشَّخْصِ وَحاوَلَ أَنْ يَضْرِبَهُ بِعَصاهُ . وَعِنْدَئِذٍ هاجَمَ والِدي اثْنا عَشَرَ رَجُلًا كانُوا مُخْتَبِئينَ ، فَطَرَحَ ثَلاثةً مِنْهُمْ أَرْضًا ، غَيْرَ أَنَّ أَحَدَ الباقينَ واسْمُه كارْفَر دُون كانَ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةً أَطْلَقَها عَلى والِدي . وَفي ٱلصَّباحِ ٱلتَّالي وُجِدَتْ جُثَّتُهُ مُلْقاةً وَتَحْتَها عَصاهُ ٱلمَكْسورةُ .

تَرَكَ والِدي ثَلاثةً مِنَ ٱلأَبْناءِ ، أَكْبَرُهُمْ أَنا – جُون رِد – وَكانَتِ ٱلوُسْطى هِيَ أُخْتي آني . أَمَّا ٱلصُّغْرى فَكانَتْ تُدْعى ليزي .

# الفَصْلُ ٱلرّابِعُ

## قُدومُ آلِ دُون إِلى باغورْذي

لَعَلَّهُ مِنَ ٱلضَّرورِيِّ أَنْ أَحْكِيَ لَكُمْ طَرَفًا مِنْ تاريخِ آلِ دُون : مَنْ هُمْ ، وَكَيْفَ أَتَوا إِلى باغورْذي .

فَفي عامِ ١٦٤٠ ، أَيْ قَبْلَ أَنْ أَتْرُكَ ٱلْمَدْرَسةَ بِثَلاثينَ عامًا ، كانَ هُناكَ رَجُلانِ يَمْتَلِكانِ مَعًا مِساحاتٍ شاسِعةً مِنَ ٱلْأَرْضِ في إِنْجِلْترا . وَكانا يَقْتَسِمانِ رِيعَ هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ فِيما بَيْنَهُما بِٱلتَّساوي . كانَ أَحَدُ ٱلرَّجُلَيْنِ هُوَ لُورد لورن ، أَمَّا ٱلْآخَرُ فَكانَ يُدْعى سِيْر إِنْسُور دُون .

وَلَمْ يَلْبَثْ أَنِ ٱخْتَلَفَ ٱلرَّجُلانِ . فَقَدْ أَرادَ لُورد لورن أَنْ يَسْتَقِلَّ بِنِصْفِ ٱلْأَرْضِ لِنَفْسِهِ . أَصْبَحَ لا يَرْضى بِنِصْفِ دَخْلِ ٱلْأَرْضِ مُجْتَمِعةً ، وَأَخَذَ يَتَطَلَّعُ إِلى ٱلِاسْتِحْواذِ عَلى نِصْفِ ٱلْأَرْضِ ذاتِها .

وَلَجَأَ كُلٌّ مِنْ لُورد لورن وَسِيْر إِنْسُور إِلى ٱلْمَحْكَمةِ في لَنْدَن . وَاسْتَمَعَ ٱلقاضي إِلى وَقائِعِ ٱلنِّزاعِ بَيْنَهُما ، ثُمَّ حَكَمَ بِأَنْ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُما ٱلحَقُّ في امْتِلاكِ تِلْكَ ٱلْأَراضي .

غَضِبَ سِيْر إِنْسُور لِذٰلِكَ غَضَبًا شَديدًا ، وَعَزَمَ عَلى أَنْ يَخْرُجَ عَلى ٱلقانونِ . وَهاجَرَ إِلى رُكْنٍ بَعيدٍ مُنْعَزِلٍ مِنْ إِنْجِلْترا حَيْثُ اكْتَشَفَ واديًا تُحيطُ بِهِ أَسْوارٌ عالِيةٌ مِنَ ٱلصُّخورِ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنِ اسْتَقَرَّ هُناكَ . وَفي بادِئِ ٱلْأَمْرِ ،



كان في صُحْبةِ سِيْر إِنْسُور اثْنا عَشَرَ رَجُلًا ، وَلٰكِنْ بِمُرورِ ٱلوَقْتِ ، أَصْبَحَ عَدَدُهُمْ كَبيرًا ، بَعْدَ أَنِ انْضَمَّ إِلَيْهِمْ آخَرونَ . وَعاشَ آلُ دُون في سَلامٍ أَوَّلَ ٱلْأَمْرِ ، وَلَمْ يُلْحِقوا أَذًى بِأَيِّ شَخْصٍ . وَتَعاطَفَ ٱلْمُزارِعونَ وَسائِرُ ٱلنّاسِ في ٱلْمِنْطَقةِ مَعَ سِيْر إِنْسُور إِذْ كانُوا يَعْرِفونَ مَدى ٱلظُّلْمِ ٱلَّذي وَقَعَ عَلَيْهِ . غَيْرَ أَنَّ آلَ دُون سَرْعانَ ما بَدَأُوا يَسْرِقونَ ٱلْمُزارِعينَ ، وَيَقْطَعونَ ٱلطَّريقَ عَلى ٱلْمُسافِرينَ ، وَيَقْتُلونَ كُلَّ مَنْ يَتَصَدّى لَهُمْ . عِنْدَئِذٍ أَخَذَ ٱلنّاسُ يَمْقُتونَ آلَ دُون وَيَخْشَوْنَهُمْ ؛ وَلٰكِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَجْرُؤْ عَلى مُقاتَلَتِهِمْ إِذْ كانُوا شَديدي ٱلْبَأْسِ . كانَ كُلُّ رِجالِ عائِلةِ دُون عَمالِقةً أَقْوِياءَ ، وَكانُوا يُدَرَّبونَ مُنْذُ نُعومةِ أَظْفارِهِمْ عَلى إِصابةِ ٱلهَدَفِ في ٱلرِّمايةِ .

كُنْتُ غُلامًا حِينَما قُتِلَ والِدي . وَلٰكِنَّني كُنْتُ واثِقًا مِنْ أَنَّ لي دَوْرًا قادِمًا في هٰذِهِ ٱلحَياةِ . وَأَخَذْتُ بُنْدُقِيَّةَ والِدي وَشَرَعْتُ أَتَدَرَّبُ عَلى إِطْلاقِها ، وَعَلى إِصابةِ ٱلهَدَفِ بِها . لَقَدْ صَمَّمْتُ عَلى أَنْ أُعِدَّ نَفْسي لِذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ٱلْمَشْهودِ ٱلَّذي سَوْفَ أَقْتُلُ فيهِ كارْفَر دُون .

لا بُدَّ أَنْ أَقْتُلَ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذي قَتَلَ والِدي .

## الفَصْلُ ٱلخامِسُ

## أَنْقَذَتْني ٱلصَّخْرةُ

هُناكَ بِٱلقُرْبِ مِنْ مَزْرَعَتِنا نَهْرانِ : نَهْرُ باغُورْدِي وَنَهْرُ لِنّ ؛ وَعَلى بُعْدِ مِيلَيْنِ جَنوبَ ٱلمَزْرَعةِ ، يَتلاقَى هٰذانِ ٱلنَّهْرانِ وَيُصْبِحانِ نَهْرًا واحِدًا عَريضًا ، يَتَدَفَّقُ عَبْرَ ٱلتِّلالِ ٱلعالِيةِ ، وَٱلغاباتِ ٱلمُعْتِمةِ مُكَوِّنًا بُحَيْراتٍ صَغيرةً تَكْثُرُ فيها ٱلأَسْماكُ .

في فَصْلِ ٱلصَّيْفِ ، كُنْتُ أَقْصِدُ هٰذِهِ ٱلبُحَيْراتِ كَثيرًا مَعَ أُخْتي آني لِصَيْدِ ٱلسَّمَكِ ، كَما كُنْتُ أَذْهَبُ إِلَيْها بِمُفْرَدي في بَعْضِ ٱلأَحْيانِ . كُنْتُ قَدْ بَلَغْتُ ٱلرّابِعةَ عَشْرةَ مِنْ عُمْري في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ . وَكانَتْ أُمّي مَريضةً مُنْذُ فَتْرةٍ مِنَ ٱلزَّمَنِ ، وَكُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّها تُحِبُّ ٱلسَّمَكَ .

ذاتَ صَباحٍ بارِدِ ٱلنَّسَماتِ مِنْ أَيّامِ ٱلرَّبيعِ ، خَرَجْتُ حامِلًا سَلَّتي لِأَصْطادَ لِأُمّي سَمَكًا . وَسِرْتُ مَسافةَ مِيلَيْنِ عَلى وَجْهِ ٱلتَّقْريبِ . وَسَيَظَلُّ هٰذا ٱليَوْمُ عالِقًا بِذِهْني ما حَييتُ ، إِذْ ما زِلْتُ أَتَذَكَّرُ ٱلأَشْجارَ ٱلَّتي كانَتْ تَتَهَيَّأُ لِاسْتِقْبالِ ٱلرَّبيعِ ، كَما أَتَذَكَّرُ بُرودةَ ٱلماءِ ٱلَّذي كُنْتُ واقِفًا فيهِ . وَسِرْتُ نَحْوَ مِيلَيْنِ في ٱلماءِ ، وَأَنا أُحاوِلُ أَنْ أَلْتَقِطَ سَمَكةً مِنْ هٰذا ٱلمَوْضِعِ أَوْ ذاكَ . وَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ أَتَيْتُ إِلى مَكانٍ ازْدادَ فيهِ اتِّساعُ ٱلنَّهْرِ . وَكانَ ٱلماءُ شَديدَ ٱلبُرودةِ فيهِ ، فَرَغِبْتُ في ٱلعَوْدةِ إِلى ٱلبَيْتِ لِأَنَّني لَمْ أُوَفَّقْ في اصْطِيادِ شَيْءٍ .

جَلَسْتُ عَلى ضِفَّةِ ٱلنَّهْرِ أَفْرُكُ ساقَيَّ ، ثُمَّ أَخْرَجْتُ بَعْضَ ٱلخُبْزِ وَٱللَّحْمِ



وَبَدَأْتُ أَتَناوَلُهُ . وَما إِنْ أَكَلْتُ حَتّى شَعَرْتُ بِٱلقُوَّةِ تَدِبُّ في جَسَدي ، فَعَزَمْتُ عَلى أَنْ أَمْضِيَ في اتِّجاهِ مَنْبَعِ ٱلنَّهْرِ حَتّى أَصِلَ إِلى وادي آلِ دُون . كانَتِ ٱلمِياهُ بارِدةً جِدًّا . وَكانَتْ هُناكَ أَماكِنُ مُعْتِمةٌ مِنَ ٱلنَّهْرِ تَمْتَدُّ تَحْتَ ظِلالِ ٱلأَشْجارِ ٱلكَثيفةِ . وَشَعَرْتُ بِٱلخَوْفِ ٱلشَّديدِ وَأَنا أَعْبُرُ تِلْكَ ٱلأَماكِنَ ؛ فَقَدْ كانَتِ ٱلأَشْجارُ ٱلسّامِقةُ تَنْتَصِبُ حَوْلي وَقَدْ تَساقَطَتْ أَوْراقُها ، عَلى حِينَ ارْتَفَعَتْ أَمامي أَغْصانُها ٱلضَّخْمةُ مِثْلَ أَذْرُعٍ تَتَهَيَّأُ لِضَرْبي . غَيْرَ أَنَّني حَصَلْتُ عَلى سَمَكٍ كَثيرٍ خِلالَ تِلْكَ ٱلمَسيرةِ .

لَمْ أَهْتَمَّ بِمُرورِ ٱلوَقْتِ ، وَاسْتَأْنَفْتُ ٱلخَوْضَ في ٱلمِياهِ . وَكُنْتُ أَصيحُ فَرَحًا كُلَّما أَمْسَكْتُ بِسَمَكةٍ ، فَأَسْمَعُ صَدى صَوْتي يَرْتَدُّ مِنَ ٱلجِبالِ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ صَوْتٌ آخَرُ يَتَرَدَّدُ في ذٰلِكَ ٱلجَوِّ ٱلهادِئِ ٱلبارِدِ .

أَتَيْتُ إِلى فُسْحةٍ بَيْنَ ٱلأَشْجارِ وَرَأَيْتُ أَمامي كُتْلةً مِنَ ٱلمِياهِ عَلى شَكْلِ بِرْكةٍ مُسْتَديرةٍ وَعَميقةٍ . كانَ ٱلماءُ يَدورُ سَريعًا في هٰذِهِ ٱلبِرْكةِ . وَرَفَعْتُ عَيْنَيَّ إِلى ٱلصَّخْرةِ ٱلعالِيةِ ٱلَّتي عَلى ٱلجانِبِ ٱلآخَرِ فَرَأَيْتُ مَسيلَ ماءٍ صافٍ يَنْحَدِرُ عَلى جانِبِ ٱلصَّخْرةِ . وَكانَ مَنْظَرًا بَديعًا .

كانَ بِاسْتِطاعَتي أَنْ أَسْبَحَ ، وَلٰكِنَّني كُنْتُ مُتْعَبًا وَأَشْعُرُ بِٱلبَرْدِ ، فَلَمْ أَرْغَبْ في ٱلخَوْضِ في ٱلمِياهِ ٱلعَميقةِ ، كَيْ لا يَبْتَلَّ جِسْمي كُلُّهُ بِٱلماءِ ( إِذْ كانَتْ ساقايَ فَقَطْ هُما ٱللَّتَيْنِ ابْتَلَّتا حَتّى ذٰلِكَ ٱلحِينِ . )

كانَتِ ٱلصُّخورُ ٱلعالِيةُ تَحْجُبُ ضَوْءَ ٱلنَّهارِ . وَعَلا صَخَبُ ٱلمِياهِ مِنْ

حَوْلي ، فَشَعَرْتُ بِالخَوْفِ . وَأَرَدْتُ مَرَّةً أُخْرى أَنْ أَعودَ أَدْراجي إلى المَنْزِلِ . غَيْرَ أَنَّني لَمْ أَلْبَثْ أَنْ قُلْتُ لِنَفْسي : « إِنَّ ما يَدْفَعُ بِالخَوْفِ إلى قَلْبِكَ ياجُون رِد هُوَ مَرْأى هٰذِهِ الأَشْجارِ وَالصُّخورِ ، بِالإِضافَةِ إلى هَديرِ المِياهِ الدّافِقَةِ ... فَهَلْ أَعودُ إلى أُمّي لِأُخْبِرَها بِأَنَّني كُنْتُ خائِفًا مِنْ أَشْياءَ لا تَبْعَثُ عَلى الخَوْفِ ؟ »

سُرْعانَ ما رَبَطْتُ سَلَّةَ السَّمَكِ إلى عُنُقي ، وَسِرْتُ إلى أَسْفَلِ صَخْرَةٍ كانَتْ تَبْرُزُ مِنَ الماءِ . وَانْزَلَقَتْ قَدَمي عَلى النَّباتِ اللَّيِّنِ المُبَلَّلِ الَّذي يَكْسو الصَّخْرَةَ فَوَقَعْتُ في الماءِ . وَسَبَحْتُ بِقُوَّةٍ ، وَلٰكِنَّ المَوْجَ جَرَفَني بَعيدًا إلى وَسَطِ النَّهْرِ . وَشَعَرْتُ بِأَنَّني عَلى شَفا المَوْتِ ، لِأَنَّ ساقَيَّ كانَتا تُؤْلِمانِني جِدًّا . غَيْرَ أَنَّني تَمَكَّنْتُ مِنَ العَوْدَةِ إلى الصَّخْرَةِ وَشَرَعْتُ في تَسَلُّقِها وَكانَ الماءُ يَتَدافَعُ فَوْقَ رَأْسي ، وَلٰكِنَّني أَخَذْتُ أَصْعَدُها شَيْئًا فَشَيْئًا . وَأَحْسَسْتُ بِالهَواءِ المُنْعِشِ يُداعِبُ وَجْهي ، فَواصَلْتُ الصُّعودَ في شِدَّةٍ وَعَزْمٍ . وَسَقَطْتُ بَعْدَ ذٰلِكَ مِنَ الإِعْياءِ فَوْقَ العُشْبِ الأَخْضَرِ الَّذي يَكْسو قِمَّةَ الصَّخْرَةِ .



## الفَصْلُ السّادِسُ

## لِقائي لُورْنا دُون

فَتَحْتُ عَيْنَيَّ فَرَأَيْتُ فَتاةً صَغيرةً إلى جانِبي ، وَكانَتْ تَمْسَحُ بِوَرَقَةِ نَباتٍ عَلى وَجْهي . قالَتِ الفَتاةُ : « إِنَّني سَعيدةٌ جِدًّا . أَراكَ أَحْسَنَ حالًا الآنَ ، أَلَيْسَ كَذٰلِكَ ؟ »

لَمْ أَكُنْ قَدْ سَمِعْتُ في حَياتي مِنْ قَبْلُ صَوْتًا لَهُ عُذوبةُ صَوْتِها ، وَلا رَأَيْتُ مَخْلوقًا بِرَوْعَةِ عَيْنَيْها السَّوْداوَيْنِ وَشَعْرِها الغَزيرِ . وَبَدَتْ لي كَزَهْرةٍ بَديعةٍ مِنْ أَزْهارِ الرَّبيعِ الجَميلةِ المُتَفَتِّحةِ – وَلَقَدْ ظَلَلْتُ أَراها دائِمًا عَلى هٰذِهِ الصُّورةِ الباهِرةِ في السَّنَواتِ التّالِيَةِ – وَرُبَّما راقَ لَها وَجْهي آنَذاكَ ، فَقَدْ قالَتْ لي فيما بَعْدُ إِنَّ وَجْهِي قَدْ أَعْجَبَها حينَ رَأَتْني لِأَوَّلِ مَرَّةٍ .

نَهَضْتُ جالِسًا .

سَأَلَتْني : « ما اسْمُكَ ؟ كَيْفَ أَتَيْتَ إلى هٰذا المَكانِ ؟ وَما هٰذِهِ الأَشْياءُ الَّتي في سَلَّتِكَ ؟ »

أَجَبْتُ : « هٰذِهِ أَسْماكٌ اصْطَدْتُها لِأُمّي ، وَلٰكِنَّني سَأُعْطيكِ بَعْضًا مِنْها إذا أَرَدْتِ . »

صاحَتِ الفَتاةُ : « ما هٰذا ؟ لَقَدْ جُرِحت ساقُكَ ! سَوْفَ أَرْبُطُها لَكَ . »

قُلْتُ : « هٰذا لا يُهِمُّ . سَوْفَ أَرْبُطُها عِنْدَما أَعودُ إلى مَنْزِلي . وَلٰكِنَّني لَمْ

أَرَ فَتاةً في مِثْلِ جَمالِكِ مِنْ قَبْلُ . اِسْمي جُون رِد – فَما ٱسْمُكِ ؟ »

أَجابَتْني في صَوْتٍ خَفيضٍ : « اِسْمي لُورْنا دُون ، كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّكَ تَعْرِفُهُ . »

دُون .. كانَ هٰذا ٱلِاسْمُ يَعْني بِالنِّسْبَةِ لي أَشْياءَ كَثيرةً . هٰذِهِ ٱلفَتاةُ إِذًا واحِدةٌ مِنْ آلِ دُون ٱلَّذينَ قَتَلوا والِدي ! وَمَعَ ذٰلِكَ فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَكْرَهَها ! لَقَدْ مَسَّ صَوْتُها شِغافَ قَلْبي . كانَ شَعْرُها ٱلأَسْوَدُ ٱلبَديعُ يَنْحَدِرُ عَلى كَتِفَيْها ، كَما كانَتْ تَنْبَعِثُ مِنْ عَيْنَيْها أَضْواءٌ وَظِلالٌ مِثْلُ ما يَبْعَثُهُ ضَوْءُ الشَّمْسِ في أَعْماقِ ٱلغابَةِ . وَبَدَأْتُ أَجْمَعُ أَشْيائي ، وَأَحْدَثْتُ في أَثْناءِ ذٰلِكَ شَيْئًا مِنَ ٱلجَلَبَةِ حَتَّى تَنْتَبِهَ إِلى أَنَّني أُوشِكُ عَلى ٱلرَّحيلِ . وَشَرَعْتُ في السَّيْرِ ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَطْلُبْ مِنِّي ٱلبَقاءَ . وَكُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّني لَنْ أَسْتَطيعَ ٱلنُّزولَ مِنْ فَوْقِ تِلْكَ ٱلصَّخْرةِ ، وَأَنَّني قَدْ أَسْقُطُ وَأَلْقى مَصْرَعي إِذا ما حاوَلْتُ ذٰلِكَ . وَبَعْدَ لَحَظاتٍ ٱلْتَفَتُّ إِلى ٱلفَتاةِ قائِلًا : « لُورْنا ! »

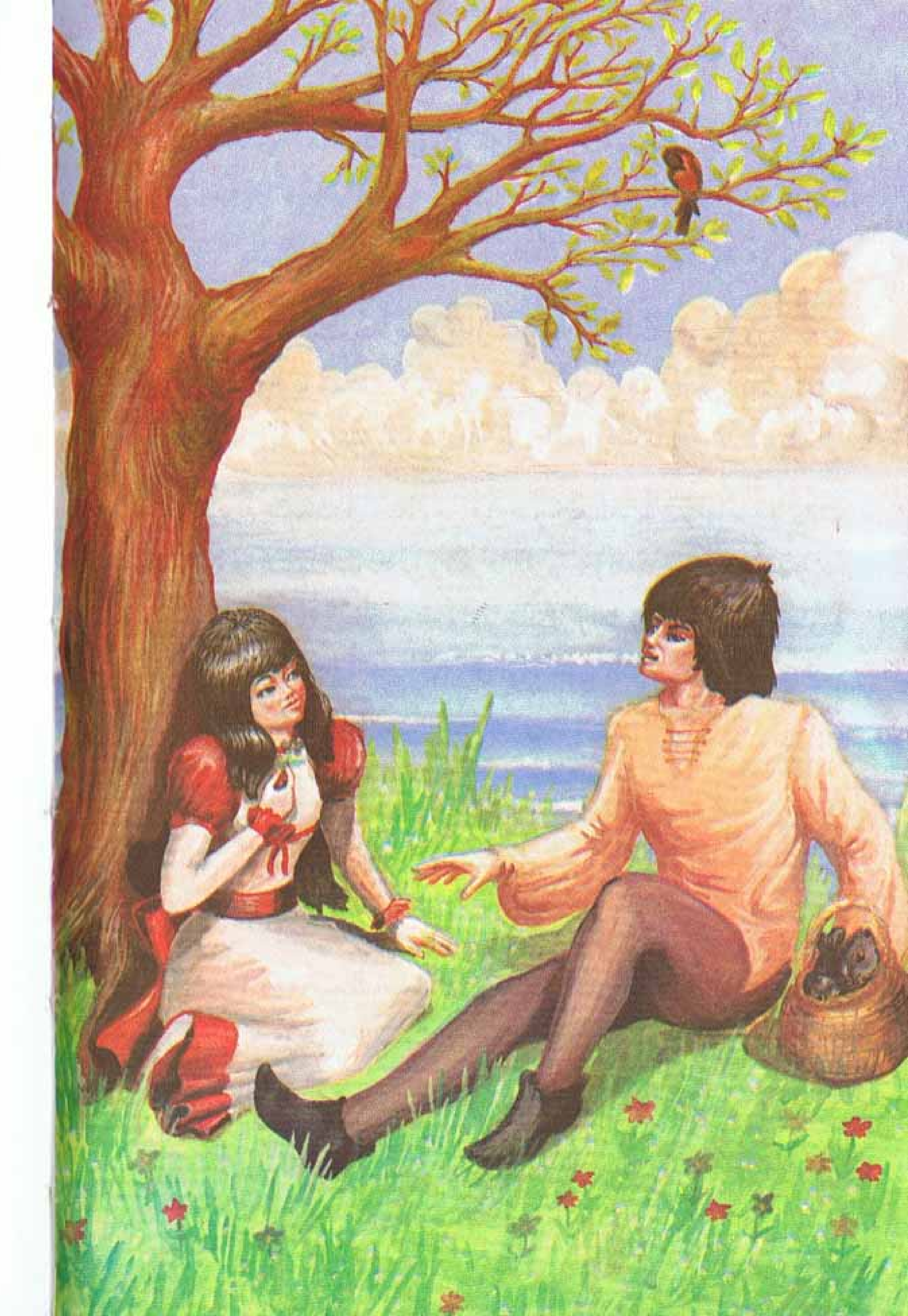
فَٱلْتَفَتَتْ نَحْوي قائِلةً : « لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ قَدْ رَحَلْتَ .. لِماذا أَتَيْتَ إِلى هٰذا ٱلمَكانِ ؟ أَلا تَعْرِفُ ما سَوْفَ يَفْعَلُهُ آلُ دُون إِذا شاهَدوكَ تَجْلِسُ ها هُنا مَعي ؟ »

« سَوْفَ يَضْرِبونَني ، وَلٰكِنَّهُمْ لَنْ يَجْرُؤُوا عَلى ضَرْبِكِ أَنْتِ . »

« سَوْفَ يَقْتُلونَنا ، وَيَرْمونَ بِجُثَّتَيْنا في ٱلماءِ . »

سَأَلْتُ : « وَلٰكِنْ لِماذا يَقْتُلونَني ؟ »





« لأنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ ٱلطَّريقَ ٱلسِّرِّيَّ إلى وادي آلِ دُون . وَٱلآنَ ، أَرْجوكَ أَنْ تَذْهَبَ . أَنْتَ تَروقُ لي كَثيرًا ، وَلَسَوْفَ أُناديكَ مِنَ ٱلآنَ بِٱسْمِكَ ٱلأَوَّلِ جُون وَعِنْدَما تُشفى ساقُكَ تَمامًا ، يُمْكِنُكَ أَنْ تَأْتِيَ ثانِيَةً لِرُؤْيَتي . »

قُلْتُ لَها : « وَأَنْتِ تَروقينَ لي أَيْضًا يالُورْنا . لَقَدْ أَحْبَبْتُكِ بِقَدْرِ ما أُحِبُّ أُخْتي آني ، وَأَكْثَرَ مِمَّا أُحِبُّ أُخْتي ليزي . إنَّني لَمْ أَرَ مِثْلَكِ مِنْ قَبْلُ . وَلَسَوْفَ أُحْضِرُ لَكِ مَعي بَعْضَ ٱلتُّفَّاحِ وَكَلْبًا صَغيرًا ، عِنْدَما آتي ثانِيَةً إلى هُنا . »

قالَتِ ٱلفَتاةُ في سَذاجَةٍ : « آهٍ ، لَنْ يَسْمَحوا لي بِٱقْتِناءِ كَلْبٍ . لَيْسَ ثَمَّةَ كَلْبٌ واحِدٌ في هٰذا ٱلوادي كُلِّهِ . »

قُلْتُ وَقَلْبي يَنْبِضُ بِعاطِفَةٍ جَيَّاشَةٍ : « ضَعي يَدَكِ في يَدي . ياَلَكِ مِنْ مَخْلوقٍ صَغيرٍ بَريءٍ . »

عِنْدَئِذٍ تَناهَتْ إلى آذانِنا صَيْحَةٌ عالِيَةٌ . وَسُرْعانَ ما شَحَبَ وَجْهُ ٱلفَتاةِ وَصَرَخَتْ قائِلَةً : « آهٍ ، أَنْقِذْني ! »

رَدَدْتُ عَلى ٱلفَوْرِ قائِلًا : « هَيَّا نَهْبِطْ تِلْكَ ٱلصَّخْرَةَ ٱلَّتي يَسيلُ فَوْقَها ٱلماءُ . »

قالَتْ : « كَلَّا ! كَلَّا ! سَوْفَ يَرَوْنَنا وَنَحْنُ نَعْبُرُ فَوْقَ ٱلعُشْبِ . هَلْ تَرى تِلْكَ ٱلصَّخْرَةَ قُرْبَ ٱلشُّجَيْراتِ هُناكَ ؟ إنَّها تُؤَدِّي إلى طَريقٍ يَحْمِلُكَ إلى خارِجِ ٱلوادي .. رُبَّما سَوْفَ يَقْتُلونَني إذا ما عَرَفوا أَنَّني أَخْبَرْتُكَ بِهٰذا السِّرِّ . »



رَأَيْتُ حَوالَى اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا قادِمينَ عَلى أَرْضِ ٱلوادي . فَقَفَزْتُ بِسُرْعَةٍ إلى ضِفَّةِ ٱلنَّهْرِ ، جاذِبًا إيَّاها وَرائي .

صاحَ ٱلرِّجالُ قائِلينَ : « أَيَّتُها ٱلمَلِكَةُ ! أَيَّتُها ٱلمَلِكَةُ ! أَيْنَ هِيَ ٱلمَلِكَةُ ؟ »

قالَتْ لي لُورْنا : « إنَّهُمْ يُنادونَني دائِمًا بِٱلمَلِكَةِ . سَوْفَ أُصْبِحُ مَلِكَةً عَلى ٱلوادي عِنْدَما أَكْبُرُ . »

هَمَسْتُ لَها : « سَوْفَ أَخْتَبِئُ أَنا في ٱلماءِ ، أَمَّا أَنْتِ فَتَمَدَّدي عَلى ٱلعُشْبِ ٱلَّذي هُناكَ كَما لَوْ كُنْتِ نائِمَةً . »

جَرَتْ لُورْنا نَحْوَ صَخْرَةٍ كَبيرَةٍ ، عَلى بُعْدِ ثَلاثينَ مِتْرًا ، وَرَقَدَتْ تَحْتَها . وَٱخْتَفَيْتُ أَنا داخِلَ ٱلماءِ ٱلَّذي كانَتْ تَنْمو فيهِ ٱلحَشائِشُ الطَّويلَةُ . وَلَمْ يَبْدُ مِنْ جَسَدي وَسْطَ تِلْكَ ٱلحَشائِشِ سِوى أَنْفي .

وَسُرْعانَ ما ٱقْتَرَبَ أَحَدُ هٰؤُلاءِ ٱلرِّجالِ ٱلأَشِدَّاءِ مِنَ ٱلفَتاةِ ، وَتَوَقَّفَ مُتَطَلِّعًا إلَيْها بُرْهَةً وَجيزَةً ، ثُمَّ حَمَلَها بَيْنَ ذِراعَيْهِ وَهُوَ يَصيحُ : « هاهِيَ ذي مَلِكَتُنا . ها هِيَ ذي ٱبْنَةُ زَعيمِنا . »

وَضَعَها الرَّجُلُ فَوْقَ كَتِفِهِ ، ثُمَّ سارَ بِها في رَكْبِ ٱلرِّجالِ ٱلآخَرينَ . عِنْدَئِذٍ خَرَجْتُ مِنَ ٱلماءِ ، وَتَوَجَّهْتُ مُباشَرَةً إلى ٱلفَجْوَةِ ٱلَّتي أَشارَتْ لُورْنا إلَيْها . وَما إنْ دَخَلْتُها حَتَّى وَجَدْتُ نَفْسي أَسيرُ في نَفَقٍ مُظْلِمٍ . وَفي نِهايَةِ هٰذا ٱلنَّفَقِ وَصَلْتُ إلى حافَةِ ٱلبِرْكَةِ .

# الفصلُ السّابعُ

## توم وَحِصانُهُ وِني

أَخَذْتُ أُفَكِّرُ كَثيرًا في لُورْنا بَعْدَ زِيارَتي لِوادي آلِ دُون ، وَصِرْتُ أَحْلُمُ بِها كَثيرًا ، كَما كُنْتُ أَتَقَدَّمُ في ٱلتَّدْريبِ عَلى ٱلرِّمايَةِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ .

كانَ لَدَيَّ في نَفْسِ ٱلوَقْتِ أَعْمالٌ كَثيرةٌ : فَقَدْ كانَ عَلَيَّ أَنْ أَحْصُدَ ٱلقَمْحَ ، وَأَجْمَعَ التُّفّاحَ ، وَأَجْلُبَ ٱلخَشَبَ ٱللّازِمَ لِنيرانِ ٱلمِدْفَأَةِ في الشِّتاءِ . وَكَما هِيَ ٱلعادةُ ، فَإِنَّ ٱلمَرْءَ لا يَشْعُرُ بِمُرورِ ٱلوَقْتِ عِنْدَما يَكونُ لَدَيْهِ أَعْمالٌ كَثيرةٌ .

اِنْقَضى عامٌ آخَرُ مِنْ عُمْري . وَسَقَطَ ٱلمَطَرُ غَزيرًا في شَهْرِ نُوفَمْبِر ، فَفاضَتْ مِياهُ النَّهْرِ . وَأَخَذَ ٱلبَطُّ يَسْبَحُ نَشيطًا في النَّهْرِ ، مُحْدِثًا جَلَبَةً عالِيةً . وَذاتَ يَوْمٍ دَفَعَ ٱلمَوْجُ بِإِحْدى ٱلبَطّاتِ بَعيدًا ، حَتّى بَلَغَتِ ٱلجِسْرَ ، فَأَسْرَعْتُ مَعَ أُخْتي آني لِإِنْقاذِها .

ظَهَرَ في تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ رَجُلٌ يَرْكَبُ حِصانًا رائِعًا . كانَ هُوَ تُوم فاجَّس قاطِعُ ٱلطَّريقِ .

صاحَ تُوم : « سَوْفَ أُنْقِذُ لَكُما ٱلبَطَّةَ . » وَهَمَسَ بِشَيْءٍ في أُذُنِ ٱلحِصانِ الَّذي انْدَفَعَ مُسْرِعًا وَسَطَ النَّهْرِ . وَعادَ تُوم بِٱلبَطَّةِ حَيَّةً سَليمةً . وَقُلْتُ في نَفْسي : « حَقًّا إِنَّهُ لَحِصانٌ رائِعٌ ، هٰذا الَّذي يَسْتَطيعُ أَنْ يَفْهَمَ حَديثَ صاحِبِهِ ! » وَوَقَفْتُ مَعَ آني نَتَطَلَّعُ إِلى ٱلحِصانِ .



سَأَلَني تُوم : « هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ بِإِمْكانِكَ أَنْ تَرْكَبَ حِصاني ؟ »

أَجَبْتُهُ : « أَسْتَطيعُ أَنْ أَرْكَبَ أَيَّ حِصانٍ . »

قالَ : « مِنْ حُسْنِ ٱلحَظِّ أَنَّ ٱلأَرْضَ رَخْوةٌ في هٰذا ٱلمَوْضِعِ ، وَلا تُهَدِّدُ بِإِصابةٍ خَطيرةٍ إذا ما وَقَعْتَ عَلَيْها . أَنا تُوم فاجَّس ابْنُ عَمِّكَ ، وَهٰذِهِ فَرَسي وِني . »

كُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ مِنْ قَبْلُ أَنَّ وِني فَرَسٌ حَرونٌ تَرْفُضُ أَنْ يَرْكَبَها أَحَدٌ غَيْرُ صاحِبِها تُوم . وَلٰكِنَّني قُلْتُ في إِصْرارٍ : « سَوْفَ أُحاوِلُ رُكوبَها . » وَامْتَطَيْتُ صَهْوَةَ ٱلفَرَسِ . وَما إِنْ أَطْلَقَ تُوم صَيْحةً قَصيرةً مُمَيَّزةً حَتّى زادَتِ



ٱلفَرَسُ مِنْ سُرْعَتِها . وَلَمّا أَطْلَقَ صَيْحَةً أُخْرى ، حاوَلَتْ أَنْ تَقْذِفَ بي بَعيدًا عَنْ ظَهْرِها ، غَيْرَ أَنَّني تَماسَكْتُ وَواصَلْتُ ٱلسَّيْرَ . وَأَخَذَتْ وِني تَقْفِزُ عالِيًا وَتَبْذُلُ أَقْصى جَهْدِها لِتَطْرَحَني أَرْضًا ، وَلٰكِنَّني ٱسْتَطَعْتُ ٱلإِمْساكَ بِزِمامِها وَٱلِٱسْتِمْرارَ في رُكوبِها . عِنْدَئِذٍ أَطْلَقَ تُوم صَيْحَةً أُخْرى ، فَٱسْتَدارَتِ ٱلفَرَسُ مُتَّجِهَةً نَحْوَهُ . وَما إِنْ أَتَتْ إِلى بَوّابَةِ مَزْرَعَتِنا ، حَتّى أَلْقَتْ بي بَعيدًا عَنْ ظَهْرِها .

قالَ تُوم : « لَقَدْ رَكِبْتَ وِني بِبَراعَةٍ ، وَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّكَ سَتَسْتَطيعُ ٱلبَقاءَ طَويلًا هٰكَذا فَوْقَ ظَهْرِها . وَلِهٰذا فَسَوْفَ أُهْديكَ بُنْدُقِيَّةً جَديدَةً . »

انْصَرَفَ ٱبْنُ عَمّي بَعْدَ أَنْ أَهْداني ٱلبُنْدُقِيَّةَ ٱلجَديدَةَ . وَسَرْعانَ ما أَجَدْتُ ٱلرِّمايَةَ بِها ، كَما فَعَلْتُ بِسابِقَتِها .

وَمَرَّتْ سَبْعُ سَنَواتٍ ، كَبِرْتُ خِلالَها وَأَصْبَحْتُ شابًّا .



## الفَصْلُ ٱلثّامِنُ

## الخالُ رِيُوبِن

كانَ مِسْتَر رِيُوبِن هَكاباك ، مِنْ أَهالي دَلْفِرْتُون ، خالًا لِأُمّي . وَكانَ يَمْتَلِكُ أَكْبَرَ مَحَلٍّ لِبَيْعِ ٱلمَلابِسِ في تِلْكَ ٱلمَدينَةِ . كانَتْ لَهُ حَفيدَةٌ تُدْعى رُوث . وَكانَتْ أُمّي تَرْغَبُ في تَقْوِيَةِ صِلاتِ ٱلوُدِّ مَعَهُ ، إِذْ كانَتْ تَعْتَقِدُ أَنَّهُ سَوْفَ يَتْرُكُ لَنا ثَرْوَتَهُ ٱلكَبيرَةَ بَعْدَ وَفاتِهِ .

كان ٱلخالُ رِيُوبِن يَحْضُرُ إِلَيْنا كُلَّ عامٍ لِقَضاءِ عيدِ رَأْسِ ٱلسَّنَةِ . وَكانَ يَرْحَلُ مِنْ بَلْدَتِهِ مُبَكِّرًا في ٱلصَّباحِ لِيَتَجَنَّبَ ٱلِٱلْتِقاءَ بِآلِ دُون عَلى ٱلطَّريقِ ، إِذْ كانَ هٰؤُلاءِ ٱلقَوْمُ مَشْهورينَ بِٱلكَسَلِ ، وَبِأَنَّهُمْ يَسْتَيْقِظونَ مِنَ ٱلنَّوْمِ عِنْدَ ٱلظُّهْرِ ، وَلا يَخْرُجونَ لِلسَّطْوِ وَٱلنَّهْبِ إِلّا في ٱلمَساءِ أَوْ بَعْدَ مُنْتَصَفِ ٱللَّيْلِ .

غَيْرَ أَنَّ ٱلخالَ رِيُوبِن أَخْطَأَ ٱلتَّقْديرَ في هٰذِهِ ٱلمَرَّةِ ، إِذْ كانَ آلُ دُون قَدْ خَرَجوا مِنْ أَوْكارِهِمْ مُبَكِّرينَ في ذٰلِكَ ٱلعيدِ . وَلَمْ يَكونوا يَوْمَئِذٍ راغِبينَ في ٱلسَّرِقَةِ ، وَإِنَّما كانوا يَقْصِدونَ ٱلمِزاحَ وَٱلمَرَحَ فَحَسْبُ .

جَلَسْنا في ٱنْتِظارِ ٱلخالِ بِٱلمَنْزِلِ ، إِلى أَنْ دَقَّتِ ٱلسّاعَةُ ٱلواحِدَةَ . وَكانَ ٱلضَّبابُ في ٱلخارِجِ كَثيفًا ، لا نَسْتَطيعُ ٱلرُّؤْيَةَ خِلالَهُ عَلى بُعْدِ عَشَرَةِ أَقْدامٍ . وَطالَ بِنا ٱلِٱنْتِظارُ بَعْدَ ذٰلِكَ دونَ أَنْ يَحْضُرَ . وَكانَ كُلُّ شَيْءٍ مُعَدًّا لِقَضاءِ أُمْسِيَّةٍ مُمْتِعَةٍ .

اِشْتَدَّ قَلَقُ والِدَتي ، وَقالَتْ لي : « أَخْشى أَنْ يَكونَ ٱلخالُ قَدْ سَقَطَ في

قَبْضةِ هٰؤُلاءِ ٱلنَّاسِ ، يا جُون . » لَمْ تَكُنْ والِدتي تَسْتَطيعُ أَنْ تَلْفِظَ كَلِمَتَيْ آلِ دُون ، فكانَتْ تَدْعوهُمْ دائِمًا بِـ « هٰؤُلاءِ ٱلنَّاسِ » . وَأَجَبْتُها مازِحًا : « سَوْفَ آسَفُ حينَئِذٍ عَلى حالِ هٰؤُلاءِ ٱلنَّاسِ ، إِذْ لا يَلْبَثُ ٱلخالُ أَنْ يُنْشِئَ مَحَلًّا تِجارِيًّا إِلى جانِبِ ٱلنَّهْرِ ، يَبْتَلِعُ كُلَّ أَمْوالِهِمْ . »

ضَحِكَتْ أُمّي لِهٰذا ٱلرَّدِّ . وَلَمَّا نالَ مِنَّا ٱلجوعُ ، تناوَلْنا طَعامَ ٱلغَداءِ . وَخَرَجْتُ بَعْدَهُ حامِلًا بُنْدُقِيَّتي لِأَبْحَثَ عَنِ ٱلخالِ رِيُوبن . كانَ مِنَ ٱلعَسيرِ أَنْ أَشُقَّ طَريقي في ٱلضَّبابِ ٱلمُتَكاثِفِ . وَأَخَذْتُ أُنادي ٱسْمَهُ بَيْنَ ٱلحينِ وَٱلحينِ ، وَأَنا أُفَتِّشُ بَيْنَ ٱلشُّجَيْراتِ ٱلمُتَناثِرةِ عَلى طولِ ٱلطَّريقِ ، وَلٰكِنْ دونَ جَدْوى . وَلَمَّا أَعْيانِيَ ٱلبَحْثُ ، عَزَمْتُ عَلى أَنْ أَسْتَديرَ عائِدًا إِلى ٱلبَيْتِ عِنْدَ ٱلمُفْتَرَقِ ٱلتَّالي لِلطُّرُقِ .

فَجْأَةً سَمِعْتُ صَوْتًا آدَمِيًّا صادِرًا مِنْ عُمْقِ ٱلضَّبابِ . وَتَوَجَّهْتُ صَوْبَ ٱلصَّوْتِ فَرَأَيْتُ رَجُلًا مُقَيَّدًا مُسْتَلْقِيًا فَوْقَ جَوادٍ صَغيرٍ . كانَتْ قَدَما ٱلرَّجُلِ فَوْقَ عُنُقِ ٱلجَوادِ ، وَرَأْسُهُ عِنْدَ ذَيْلِهِ . وَيَبْدو أَنَّ هٰذِهِ ٱلطَّريقةَ ٱلغَريبةَ لِلرُّكوبِ قَدْ أَفْزَعَتِ ٱلحِصانَ ٱلصَّغيرَ ٱلَّذي كانَ يَقْفِزُ ذاتَ ٱليَمينِ وَذاتَ ٱليَسارِ مُحاوِلًا أَنْ يَطْرَحَ ٱلرَّاكِبَ عَنْ ظَهْرِهِ . كانَ خالي رِيُوبن ٱلمِسْكينُ هُوَ ذٰلِكَ ٱلرَّاكِبَ ٱلمُقَيَّدَ ، وَكانَ يُوشِكُ أَنْ يَموتَ مِنَ ٱلرُّعْبِ .

تَظاهَرْتُ بادِئَ ٱلأَمْرِ بِأَنَّني لا أَعْرِفُ ٱلرَّجُلَ ، وَأَمْسَكْتُ بِرَأْسِ ٱلحِصانِ قائِلًا : « لا تَخَفْ يا سَيِّدي ، فَلَنْ يُصيبَكَ أَذًى . »

صاحَ ٱلخالُ : « ٱلنَّجْدةَ أَيُّها ٱلصَّديقُ ٱلَّذي لا أَعْرِفُهُ ! لَقَدْ أَرْسَلَتْكَ ٱلسَّماءُ





لِإِنْقاذي مِنَ ٱللُّصوصِ ٱلَّذينَ سَلَبوني كُلَّ ما كُنْتُ أَحْمِلُهُ . »

صِحْتُ مُتَظاهِرًا بِٱلدَّهْشةِ : « عَجَبًا ! إِنَّكَ خالي رِيُوبن ! لِماذا تَرْكَبُ ٱلجَوادَ بِهٰذِهِ ٱلصُّورةِ ٱلهَزْلِيَّةِ ، وَأَنْتَ أَغْنى رَجُلٍ في دَلْقِرْتون؟ ! »

لٰكِنَّهُ كانَ مِنَ ٱلإِعْياءِ بِحَيْثُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَتَكَلَّمَ كَثيرًا . وَأَنْزَلْتُهُ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِ ٱلحِصانِ ، وَوَضَعْتُهُ عَلى جَوادي ، وَحَمَلْتُهُ إِلى مَنْزِلي . وَغَلَبَهُ ٱلنُّعاسُ في ٱلطَّريقِ فاسْتَسْلَمَ لِلنَّوْمِ إِلى أَنْ وَصَلْنا . وَما إِنْ دَخَلْنا ٱلبَيْتَ حَتَّى نَفَضَ ٱلماءَ عَنْ مَلابِسِهِ ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنامَ مَرَّةً أُخْرى .

اِسْتَيْقَظَ ٱلخالُ رِيُوبن بَعْدَ فَتْرةٍ مِنَ ٱلوَقْتِ ، وَأَخَذَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ قائِلًا : « لا بُدَّ أَنْ يَتَزَوَّجَ جُون رِد مِنْ رُوث ، وَتَؤُولَ إِلَيْهِ كُلُّ ثَرْوَتي . لَقَدْ سَلَبَ

آلِ دُون ٱلأَوْغادُ جُزْءًا كَبيرًا مِنْ هٰذِهِ ٱلثَّرْوةِ ، بَيْدَ أَنَّ جُون يَجِبُ أَنْ يَأْخُذَ كُلَّ ما تَبَقَّى مِنْها . »

اِسْتَأْنَفَ ٱلخالُ نَوْمَهُ ثانِيةً إلى أَنْ فَرَغْنا مِنْ إعْدادِ طَعامِ ٱلعَشاءِ .

في ٱلمَساءِ زارَنا ٱلمُزارِعُ سنُو ، عُمْدةُ ٱلقَرْيةِ مَعَ بَناتِهِ ٱلثَّلاثِ ، وَأَمْضَيْنا وَقْتًا مُمْتِعًا . غَيْرَ أَنَّ ٱلخالَ رِيُوبِن كانَ يَجْلِسُ طَوالَ ٱلمَساءِ في رُكْنٍ هادِئٍ دُونَ أَنْ يَتَكَلَّمَ كَثيرًا . وَعِنْدَما اقْتَرَبَتِ ٱلسَّهْرةُ مِنْ نِهايَتِها تَطَرَّقَ ٱلحَديثُ إلى آلِ دُون ، فَقالَ ٱلخالُ :

« إنَّكُمْ جَميعًا جُبَناءُ ، أَيُّها ٱلفَلَّاحونَ ! إنَّكُمْ جَميعًا جُبَناءُ ! لِماذا لا تَتَّحِدونَ مَعًا وَتَخوضونَ ٱلمَعْرَكةَ ضِدَّ هٰؤُلاءِ ٱلأَنْذالِ وَتَقْذِفونَ بِهِمْ إلى خارِجِ ٱلمِنْطَقةِ ؟ أَنْتُمْ تَنْعَمونَ بِٱلغِذاءِ ٱلطَّيِّبِ ، وَتُجيدونَ ٱلكَلامَ . وَلٰكِنْ عِنْدَما تُضْطَرُّونَ إلى ٱلقِتالِ ، فَإنَّكُمْ تَتَراجَعونَ مَذْعورينَ . »



## الفَصْلُ ٱلتَّاسِعُ

## زِيارةٌ لِقاضي ٱلإقْليمِ

في ٱليَوْمِ ٱلتَّالي ، عَزَمَ ٱلخالُ رِيُوبِن عَلى زِيارةِ رَئيسِ ٱلقُضاةِ في هٰذا ٱلجُزْءِ مِنَ ٱلمَمْلَكةِ ، وَٱسْمُهُ لُورْد وِيشِيهالس .

اِسْتَقْبَلَنا اللُّورْدُ في وُدٍّ وَحَفاوةٍ ، وَضَحِكَ عِنْدَ سَماعِ قِصَّةِ ٱلخالِ ، ثُمَّ قالَ لَهُ : « وَلٰكِنْ لِماذا أَنْتَ مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّ آلَ دُون هُمُ ٱلَّذينَ سَلَبوا نُقودَكَ ؟ أَنْتَ تَقولُ إنَّ ضَبابًا كَثيفًا كانَ يُخَيِّمُ عَلى ٱلمَكانِ ، فَهَلِ ٱسْتَطَعْتَ حِينَئِذٍ أَنْ تَرى ٱلرِّجالَ بِوُضوحٍ ؟ وَهَلْ يُمْكِنُكَ أَنْ تُثْبِتَ مَنْ كانَ مِنْهُمْ هُناكَ ؟ »

عِنْدَما رَأى ٱلخالُ أَنَّ ٱلقاضيَ غَيْرُ مُتَحَمِّسٍ لِمُساعَدَتِهِ ، ثارَ قائِلًا : « هَلْ هٰذِهِ هِيَ عَدالةُ ٱلقَضاءِ ٱلَّذي يَنْطِقُ بِاسْمِ جَلالةِ ٱلمَلِكِ ؟ سَوْفَ أَذْهَبُ بِنَفْسي إلى لَنْدَن وَأُخْبِرُ ٱلمَلِكَ كَيْفَ يُسيئونَ إلى عَدالةِ جَلالَتِهِ في إقْليمِ سُومِرْسِت . »

أَجابَ لُورْد وِيشِيهالس : « أوه ! إذًا فَقَدْ وَقَعَتْ هٰذِهِ ٱلجَريمةُ في سُومِرْسِت وَلٰكِنَّني أُحافِظُ عَلى ٱلأَمْنِ في إقْليمِ ديفُونْشَير . عَلَيْكَ يا سَيِّدي بِٱلذَّهابِ إلى ٱلقاضي في سُومِرْسِت . »

غادَرَ خالي رِيُوبِن مَنْزِلَ ٱلقاضي في غَضَبٍ شَديدٍ ، قائِلًا إنَّهُ سَوْفَ يَقْصِدُ رَجُلًا عَظيمًا في لَنْدَن هُوَ ٱلقاضي جِيفْريز . وَرَدَّدَ ٱلخالُ : « وَٱلآنَ يا جُون

رِد ، تَذَكَّرْ هٰذِهِ ٱلكَلِماتِ ٱلَّتي أَقولُها . إِنَّ ٱلأَمْرَ لَنْ يَنْتَهِيَ عِنْدَ هٰذا ٱلحَدِّ ، إِذْ لَدَيَّ خُطَّةٌ أُخرى . إِنَّني أَعْرِفُ في لَنْدَن رَجُلًا أَقْوى مِنَ ٱلمَلِكِ ذاتِهِ ، هُوَ ٱلقاضي جيفْريز . وَلَسَوْفَ أَحْصُلُ عَلى خِطاباتِ تَوْصِيَةٍ إِلى هٰذا ٱلشَّخْصِ ٱلعَظيمِ . »

وَفي طَريقِنا إِلى ٱلمَنْزِلِ ، رَأَيْنا بَعْضَ أَزْهارِ ٱلرَّبيعِ ٱلجَميلَةِ ، فَقالَ ٱلخالُ : « إِنَّها لَأَزْهارٌ جَميلَةٌ ! »

حَمَلَني مَرْأى تِلْكَ ٱلأَزْهارِ عَلى ٱلتَّفْكيرِ في لُورْنا دُون ، وَفي ذٰلِكَ ٱليَوْمِ ٱلبَعيدِ ٱلَّذي قابَلْتُها فيهِ . تُرى هَلْ خَطَرْتُ بِبالِها مُنْذُ ذٰلِكَ ٱليَوْمِ ؟

في ٱليَوْمِ ٱلتَّالي أَعْرَبَ ٱلخالُ عَنْ رَغْبَتِهِ في رُؤْيَةِ وادي آلِ دُون . وَقُلْتُ إِنَّني أَعْرِفُ ٱلطَّريقَ إِلَيْهِ ، فَسَأَلَني أَنْ آخُذَهُ إِلى هُناكَ . وَبَدَأْنا ٱلرِّحْلَةَ دونَ أَنْ نُخْبِرَ أَحَدًا بِٱلجِهَةِ ٱلَّتي نَقْصِدُها . وَعَبَرْنا غابَةَ باغورْذي بِبُطْءٍ عَلى جَوادَيْنا ، ثُمَّ صَعِدْنا ٱلتِّلالَ ، إِلى جانِبِ ٱلوادي ٱلَّذي يَسْكُنُهُ آلُ دُون . كانَ هُناكَ تَلٌّ مُرْتَفِعٌ عِنْدَ أَطْرافِ ٱلغابَةِ ، وَكُنَّا نَسْتَطيعُ أَنْ نَرى واديَ آلِ دُون في وُضوحٍ تامٍّ أَسْفَلَ هٰذا ٱلتَّلِّ .

وَصَلْنا أَخيرًا إِلى قِمَّةِ ٱلتَّلِّ ، وَنَظَرْنا مِنْ أَطْرافِ ٱلغابَةِ إِلى ٱلوادي ٱلَّذي يَسْكُنُهُ آلُ دُون . وَتَطَلَّعَ ٱلخالُ رِيُوبِن إِلى ٱلتِّلالِ مِنْ حَوْلِهِ ، ثُمَّ قالَ : « مِنَ ٱلسَّهْلِ أَنْ يَسْتَوْلِيَ نَفَرٌ قَليلٌ مِنَ ٱلجُنودِ عَلى هٰذا ٱلوادي ، إِذا ما نَصبوا مَدافِعَهُمْ عَلى قِمَمِ هٰذِهِ ٱلتِّلالِ . نَحْنُ لا نَحْتاجُ إِلى أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثَةِ مَدافِعَ في



أَعْلى هٰذا ٱلتَّلِّ ، وَثَلاثَةٍ أُخرى عَلى قِمَّةِ ذٰلِكَ ٱلجَبَلِ ، حَتَّى نَتَمَكَّنَ مِنْ سَحْقِ هٰذِهِ ٱلعِصابَةِ . »

لَمْ أَكُنْ حينَئِذٍ أُنْصِتُ إِلى ما يَقولُهُ ٱلخالُ ، فَقَدْ كُنْتُ أَنْظُرُ إِلى تِلْكَ ٱلفَجْوَةِ ٱلصَّغيرَةِ في ٱلصَّخْرِ ٱلَّتي سَبَقَ أَنْ سِرْتُ خِلالَها يَوْمًا . وَبَيْنَما كُنْتُ أَنْظُرُ إِلى تِلْكَ ٱلفَجْوَةِ رَأَيْتُ فَتاةً تَتَّجِهُ نَحْوَها وَتَمْضي إِلى داخِلِها .. فَتاةً جَميلَةً ، دَقيقَةَ ٱلجِسْمِ ، بَيْضاءَ ٱللَّوْنِ . كانَتْ هِيَ لُورْنا دُون . وَشَعَرْتُ بِقَلْبي يَخْفِقُ بِشِدَّةٍ . وَعَرَفْتُ حينَئِذٍ أَنَّ حَياتي قَدِ ٱرْتَبَطَتْ بِها بِطَريقَةٍ ما .

ٱلْتَفَتَ ٱلخالُ رِيُوبِن نَحْوي قائِلًا : « يَجِبُ أَنْ تَزورَ هٰذا ٱلمَكانَ مَرَّةً أُخرى . يَجِبُ أَنْ تُراقِبَ واديَ آلِ دُون . »

أَجَبْتُ ضاحِكًا : « أَجَلْ ، سَوْفَ أَفْعَلُ ذٰلِكَ بِٱلتَّأْكيد ... أَعِدُكَ بِذٰلِكَ يا خالي . »

## الفَصْلُ العاشِرُ

## زِيارةٌ أُخرى لِلُورْنا

بِمُجَرَّدِ أَنْ عادَ آلخالُ رِيُوبن إلى بَيْتِه ، أَخَذْتُ أُفَكِّرُ في زِيارةِ وادي آلِ دُون مَرَّةً أُخرى . وَاشْتَرَيْتُ بَعْضَ آلملابِسِ آلجديدةِ مِنْ بَلْدةِ بُورْلُوك ، ثُمَّ بَدَأْتُ آلرِّحْلةَ إلى صَخْرةِ آلشَّلّالِ الَّتي كُنْتُ قَدْ تَسَلَّقْتُها مُنْذُ سَنواتٍ . وَلَقَدْ دَهِشْتُ عِنْدَما بَدَتْ لِيَ آلصَّخْرةُ حِينَئِذٍ أَصْغَرَ جِدًّا في آلحَجْمِ وَخاصَّةً بَعْدَ أَنْ كَبِرْتُ أنا كَثيرًا . وَتَسَلَّقْتُها في سُهولةٍ وَيُسْرٍ ، وَسَرْعانَ ما وَصَلْتُ إلى آلقِمَّةِ . وَتَلَفَّتُّ حَوْلي بِحِرْصٍ وَحَذَرٍ قَبْلَ أَنْ أَخْطُوَ فَوْقَ آلأَرْضِ آلكَثيرةِ آلعُشْبِ إلى جانِبِ آلنَّهْرِ . كانَتِ آلأَشْجارُ حِينَئِذٍ قَدْ بَدَأَتْ تَكْشِفُ عَنْ أَوْراقِها آلصَّغيرةِ آليانِعةِ ، الَّتي تَبْدو خَضْراءَ زاهِيةً في ضَوْءِ آلشَّمْسِ . وَكانَتِ آلسَّماءُ الصّافيةُ شَديدةَ آلزُّرْقةِ ، عَلى حِينَ أَخَذَتْ بَراعِمُ آلزَّهْرِ تَتَفَتَّحُ ، وَآلطُّيورُ تُغَنِّي أَغاريدَ آلحُبِّ وَآلغَزَلِ .

وَبَيْنَما كُنْتُ أَتَمَتَّعُ بِمَناظِرِ آلطَّبيعةِ وَأَصْواتِها آلسّاحِرةِ ، سَمِعْتُ صَوْتًا أَجْمَلَ مِنْ صَوْتِ أَيِّ طائِرٍ . كانَ هُوَ صَوْتَ لُورْنا دُون . وَاخْتَبَأْتُ خَلْفَ آلصُّخورِ حَتّى لا تَراني آلشّادِيةُ آلفاتِنةُ فَتَخافَ وَتَفِرَّ هارِبةً . وَما هِيَ إلّا دَقائِقُ مَعْدودةٌ حَتّى أَخْرَجْتُ رَأْسي مِنْ وَراءِ آلصَّخْرةِ فَرَأَيْتُ مَنْظَرًا فَريدًا لا تَزالُ ذِكْراهُ حَيَّةً في خاطِري إلى آليَوْمِ .

كانَتْ لُورْنا دُون قادِمةً نَحْوي عَلى آلطَّريقِ آلَّذي إلى جانِبِ آلنَّهْرِ . لَمْ



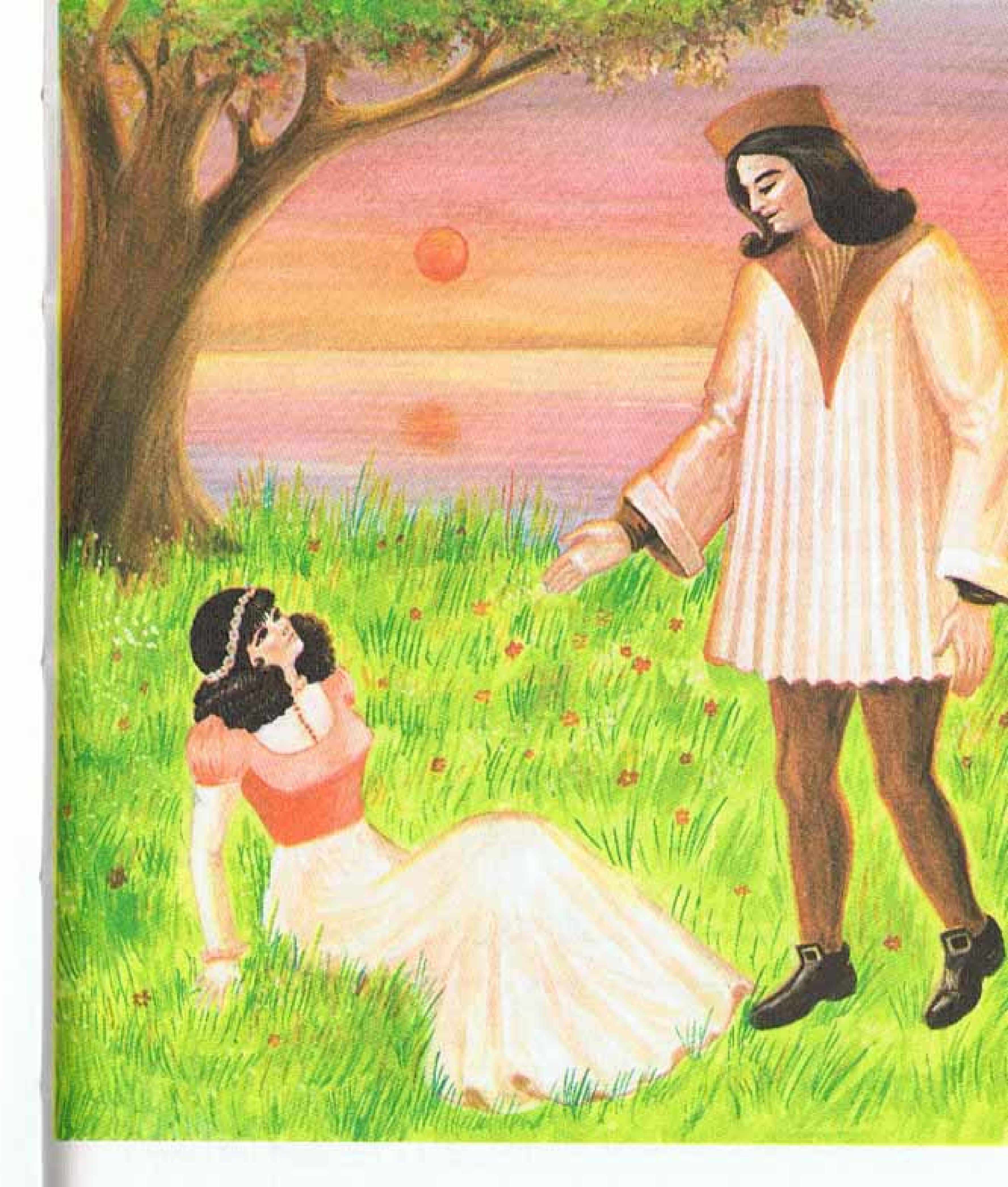
أَسْتَطِعْ أَنْ أَرى وَجْهَها تَمامًا ، وَإنَّما لَمَحْتُ شَعْرَها آلأَسْوَدَ آلرّائِعَ آلجَمالِ يُحيطُ بِهِ إكْليلٌ مِنَ آلأَزْهارِ آلبَيْضاءِ . وَكانَ آلضَّوْءُ آلشّاحِبُ فَوْقَ آلتِّلالِ آلغَرْبيَّةِ يُلْقي بِظِلٍّ خَلْفَها ، كَما لَوْ كانَتِ آلشَّمْسُ آلغارِبةُ تَتَباطَأُ في آلرَّحيلِ لِتَتَزَوَّدَ مِنْها بِنَظْرةٍ أَخيرةٍ . وَآلآنَ ، وَبَعْدَ أَنْ تَقَدَّمْتُ في آلعُمْرِ ، ما زالَ مَشْهَدُ آلشَّمْسِ عِنْدَ آلغُروبِ يُذَكِّرُني بِلُورْنا دُون في ذٰلِكَ آليَوْمِ آلمَشْهودِ .

خَرَجْتُ مِنْ خَلْفِ الصُّخورِ ، فَلَمّا رَأَتْني اسْتَدارَتْ كَما لَوْ كانَتْ تَتَهَيَّأُ لِلْهَرَبِ ، إذْ يَبْدو أَنَّها ارْتاعَتْ مِنْ ضَخامةِ جِسْمي . وَسَقَطْتُ عَلى آلعُشْبِ ، كَما سَقَطْتُ أَمامَها مُنْذُ سَبْعِ سَنواتٍ مَضَتْ ، عِنْدَما صَعِدْتُ إلى قِمَّةِ آلشَّلّالِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ، وَصِحْتُ قائِلًا : « لُورْنا دُون ! » وَأَدْرَكْتُ مِنْ ضَحْكَتِها آلرَّقيقةِ أَنَّها قَدْ عَرَفَتْني ، وَأَنَّها سُرَّتْ بِرُؤْيَتي . غَيْرَ أَنَّها تَظاهَرَتْ بِآلغَضَبِ وَصاحَتْ قائِلةً : « يا لَلْعَجَبِ ! وَمَنْ تَكونُ يا سَيِّدي ؟ وَكَيْفَ عَرَفْتَ اسْمِيَ ؟ »

أَجَبْتُها : « أَنا جُون رِد ، ذٰلِكَ آلغُلامُ آلصَّغيرُ آلَّذي أَعْطاكِ بَعْضَ آلسَّمَكِ مُنْذُ سَبْعِ سَنَواتٍ . »

قالَتْ : « أَجَلْ ، أَذْكُرُ ذٰلِكَ آلغُلامَ آلصَّغيرَ آلَّذي كانَ مُرْتَعِبًا جِدًّا يَوْمَئِذٍ ، وَالَّذي اخْتَبَأَ هُنا في آلماءِ . وَلٰكِنْ يَبْدو أَنَّكَ قَدْ نَسيتَ أَنَّ هٰذا آلمَكانَ بالِغُ آلخُطورةِ . »

لاحَظْتُ خَوْفَها . فَقَدْ كانَتْ تَخْشى أَنْ يَراني أَحَدُ أَفْرادِ عائِلَتِها فَيُطْلِقَ



ٱلنَّارَ عَلَيَّ في ٱلحالِ . وَكانَتْ عَيْناها ٱللَّامِعَتانِ ٱلسَّاحِرَتانِ مُتَّجِهَتَيْنِ نَحْوي طَوالَ ٱلوَقْتِ وَهِيَ تَتَحَدَّثُ . وَلَمْ أَتَمَكَّنْ مِنَ ٱلرَّدِّ عَلَيْها . كُنْتُ أُحِسُّ أَنَّني



سَوْفَ أُحِبُّها إلى ٱلأَبَدِ ، وَلٰكِنِّي أَشْعُرُ أَنَّني لَسْتُ جَديرًا بِها . وَرَأَيْتُ أَنَّهُ مِنَ ٱلأَفْضَلِ أَنْ أُغادِرَ ٱلمَكانَ في ٱلحالِ ، فَقُلْتُ :

« سَوْفَ أَمْضي يا آنِسةُ لُورْنا ، لِأَنَّني أَرى أَنَّكِ خائِفةٌ ، وَأَعْرِفُ مِقْدارَ ٱلأَلَمِ ٱلَّذي قَدْ يُصيبُكِ إذا ما أَتى واحِدٌ مِنْهُمْ وَقَتَلَني ٱلآنَ ، كَما أَعْرِفُ أَنَّ أُمِّي سَوْفَ تَموتُ حُزْنًا إذا ما وَقَعَ ذٰلِكَ . وَلٰكِنْ حاوِلي أَنْ تَذْكُريني بَيْنَ ٱلحينِ وَٱلآخَرِ ، وَأَعِدُكِ بِأَنَّني سَوْفَ آتي ثانِيةً ، وَأُحْضِرُ لَكِ هَدِيَّةً مِنَ ٱلبَيْضِ ٱلطَّازَجِ . »

أَجابَتْ : « أَشْكُرُكَ كَثيرًا ، وَلٰكِنْ يَجِبُ أَلَّا تَبْحَثَ عَنِّي عِنْدَما تَأْتي يَكْفي أَنْ تَتْرُكَ ٱلبَيْضَ في ٱلمَخْبَإِ ٱلصَّغيرِ ٱلَّذي عَمِلْتَهُ بَيْنَ ٱلصُّخورِ . »

عِنْدَ ٱلوَداعِ ٱبْتَسَمَتْ لِيَ ٱبْتِسامةً رَقيقةً مُشْرِقةً نَفَذَتْ إلى أَعْماقِ قَلْبي وَمَدَّتْ لي يَدَها فَلَمَسْتُها بِرِقَّةٍ ، ثُمَّ مَضَيْتُ أَهْبِطُ ٱلصَّخْرةَ .

لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا طَوالَ ٱلأُسْبوعِ ٱلتَّالي سِوى أَنْ أَحْلُمَ وَأَحْلُمَ بِلُورْنا . لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُرَكِّزَ في أَيِّ عَمَلٍ مُدَّةً طَويلةً ، وَظَنَّ ٱلجَميعُ أَنَّني مَريضٌ . وَقالَ خادِمُنا جُون فراي لِلنَّاسِ إنَّ كَلْبًا مَسْعورًا قَدْ عَضَّني ، وَكادَتْ أُمِّي أَنْ تُصَدِّقَ هٰذا ٱلنَّبَأَ . وَفي ٱلمَساءِ كانَتْ أُمِّي تَجْلِسُ إلى جانِبي وَتُوَجِّهُ إلَيَّ أَسْئِلةً كَثيرةً ، وَكُنْتُ زاهِدًا في ٱلإِجابةِ عَنْ أَيِّ سُؤالٍ . كُنْتُ أُريدُ فَحَسْبُ أَنْ أَجْلِسَ إلى جِوارِ ٱلمِدْفَأَةِ وَأُفَكِّرَ في لُورْنا دُون .

# الفصلُ الحادي عشر

## قصةُ لورنا

ما إنْ مَرَّ أُسبوعانِ حَتّى مالَ الجَوُّ إلى الدِّفْءِ ، وَحَلَّ الرَّبيعُ بِكُلِّ سِحْرِهِ وَجمالِهِ ، وَاخْضَرَّتِ الحُقولُ ، وَاكْتَسَتْ جَوانِبُ التِّلالِ بِأَزْهارٍ زاهِيةٍ جَميلةٍ .

ذَهَبْتُ ذاتَ يَوْمٍ إلى شَجَرةٍ عَتيقةٍ ، وَحَفَرْتُ عَلى جِذْعِها هٰذَيْنِ الحَرْفَيْنِ : ل . د . وَبَيْنَما كُنْتُ أَفْعَلُ ذٰلِكَ ، تَمَلَّكَتْني رَغْبةٌ قَوِيَّةٌ في أَنْ أَرى لورْنا مَرَّةً أُخْرى ، فَتَوَجَّهْتُ في هُدوءٍ إلى البَيْتِ ، وَأَخْرَجْتُ مَلابِسي الجَديدةَ . وَحَرَصْتُ أَلّا تَراني شَقيقَتاي خارِجًا في هٰذِهِ المَلابِسِ ، فَذَهَبْتُ لارْتِدائِها وَراءَ بَعْضِ الشُّجَيْراتِ خَلْفَ المَنْزِلِ . وَخَرَجْتُ قاصِدًا غابةَ باغْوِرْذي وَصَعِدْتُ النَّهْرَ إلى أَنْ بَلَغْتُ صَخْرةَ الشَّلّالِ ، ثُمَّ تَسَلَّقْتُ الصَّخْرةَ بِصُعوبةٍ بالِغةٍ ، إذْ كانَتِ المِياهُ تَتَدَفَّقُ عَلَيْها بِشِدَّةٍ . وَما إنْ جَلَسْتُ عَلى القِمَّةِ لِأَسْتَريحَ تَحْتَ ظِلالِ الأَشْجارِ حَتّى رُحْتُ في نَوْمٍ عَميقٍ .

اسْتَيْقَظْتُ عَلى صَوْتِ خَريرِ المِياهِ الجارِيةِ في نُهَيْرٍ صَغيرٍ إلى جانِبي ، فَرَأَيْتُ لورْنا واقِفةً أَمامي تَحْجُبُ عَنّي أَشِعَّةَ الشَّمْسِ . وَسُرْعانَ ما تَناوَلَتْ يَدي لِتُساعِدَني عَلى النُّهوضِ قائِلةً : « هَلْ جُنِنْتَ يا سَيِّدُ رِد ؟ »

أَجَبْتُ : « لَسْتُ مَجْنونًا ، وَإِنَّما أَنا نِصْفُ نائِمٍ . »

قالَتْ : « إذًا ، هَيّا نَبْتَعِدُ عَنْ هٰذا المَكانِ حِفاظًا عَلى حَياتِكَ . فَسَوْفَ يَأْتي الحُرّاسُ إلى هُنا حالًا . أَسْرِعْ يا سَيِّدُ رِد وَدَعْني أَلْتَمِسُ لَكَ مَخْبَأً . »



قُلْتُ : « لَنْ أَتَحَرَّكَ خُطْوةً واحِدةً مِنْ هُنا إلّا إذا دَعَوْتِني بِاسْمي الأَوَّلِ : جون . »

فَقالَتْ : « حَسَنًا ، إذًا أَسْرِعْ يا سَيِّدُ جون رِد إذا كُنْتَ تُريدُ الإِبْقاءَ عَلى حَياتِكَ . » وَقادَتْني ، دُونَ كَلِمةٍ أُخْرى ، إلى مَخْبَئِها بَيْنَ الصُّخورِ . وَرَأَيْتُ ثانِيةً تِلْكَ الفَجْوةَ الَّتي سَلَكْتُها مُنْذُ سَنَواتٍ . كانَتْ هُناكَ بِضْعُ دَرَجاتٍ حَجَرِيَّةٍ مَنْحوتةٍ في الصَّخْرِ ، وَإلى جانِبِها بَعْضُ الشُّجَيْراتِ القَصيرةِ السَّميكةِ . وَأَزاحَتْ لورْنا الشُّجَيْراتِ جانِبًا ، كاشِفةً عَنْ طَريقٍ صَغيرٍ يَمُرُّ خِلالَ الصَّخْرِ .

تَبِعْتُها في جَهْدٍ شَديدٍ بِسَبَبِ ضَخامةِ جِسْمي الَّتي لَمْ تَكُنْ تُناسِبُ ضيقَ المَكانِ . وَضَحِكَتْ لورْنا عِنْدَما رَأَتِ المُحاوَلاتِ الَّتي بَذَلْتُها لِكَيْلا تَصْطَدِمَ رُكْبَتايَ وَذِراعايَ كَثيرًا بِالصَّخْرِ ، فَغَضِبْتُ لِذٰلِكَ . وَلَمْ نَلْبَثْ أَنْ أَتَيْنا إلى فُسْحةٍ صَغيرةٍ بَديعةٍ تُظَلِّلُها السَّماءُ الزَّرْقاءُ ، وَتَحُفُّ بِجَوانِبِها الصُّخورُ العالِيةُ . وَكُنْتُ مُسْتَغْرِقًا في التَّمَتُّعِ بِجَمالِ تِلْكَ الفُسْحةِ ، حينَ فاجَأَتْني لورْنا بِالسُّؤالِ ضاحِكةً :

« أَيْنَ البَيْضُ الطّازَجُ يا سَيِّدُ رِد ؟ أَمْ أَنَّ الدَّجاجةَ الزَّرْقاءَ لَمْ تَعُدْ تَبيضُ ؟ »

لَقَدْ ظَنَّتْ لورْنا أَنَّني نَسيتُ ذٰلِكَ الأَمْرَ ، غَيْرَ أَنَّني كُنْتُ أَحْتَفِظُ بِالبَيْضِ في قُبَّعَتي ، وَقَدَّمْتُهُ إلَيْها قائِلًا : « كانَ في إِمْكاني أَنْ أُحْضِرَ لَكِ أَكْثَرَ مِنْ هٰذا ، وَلٰكِنَّني خَشيتُ أَنْ يَنْكَسِرَ في الطَّريقِ . »

ما إنْ رَأَتْ لورْنا البَيْضَ حَتّى أَجْهَشَتْ بِالبُكاءِ . وَخَشيتُ أَنْ أَكونَ قَدْ جَرَحْتُ شُعورَها بِكَلِمةٍ غَيْرِ مَقْصودةٍ ، وَلٰكِنَّها قالَتْ مُوضِّحةً سَبَبَ

بُكائِها : « لَمْ يَسْبِقْ أَنْ عامَلَني أَحَدٌ بِمِثْلِ هٰذِهِ ٱلرِّقَّةِ . إِذْ لا يَعْرِفُ ٱلرِّقَّةَ أَحَدٌ في هٰذا ٱلمَكانِ . »

جَلَسْنا فَوْقَ صَخْرةٍ ، وَأَخَذَتْ لورْنا تُحَدِّثُني عَمَّا كُنْتُ أَوَدُّ أَنْ أَعْرِفَهُ عَنْ حَياتِها . وَبَدَأَتْ حَديثَها قائِلَةً :

« هُناكَ شَخْصانِ فَقَطْ في هٰذا ٱلوادي كَثيرًا ما يُساعِدانِني أَوْ يُجيبانِ عَنْ أَسْئِلَتي : أَحَدُهُما جَدّي سير إنْسور دون ، وَٱلثّاني حَكيمُ ٱلأُسْرةِ أَوْ مُسْتَشارُها ٱلَّذي يُقَدِّمُ لِأَفْرادِها ٱلمَشورَةَ في ٱلمَواقِفِ ٱلَّتي تَسْتَدْعي ذٰلِكَ . وَجَدّي رَجُلٌ عَجوزٌ شَديدُ ٱلاعْتِزازِ بِنَفْسِهِ ، يَعْرِفُ الخَطَأَ مِنَ ٱلصَّوابِ ، وَلٰكِنَّهُ لا يُحِبُّ إطالَةَ ٱلنَّظَرِ في ٱلتَّحْديدِ بَيْنَهُما . أَمَّا ٱلمُسْتَشارُ فَإِنَّهُ يَتَكَلَّمُ كَثيرًا ، لِأَنَّهُ مُغْرَمٌ بِٱلقَوْلِ دونَ ٱلفِعْلِ .

« وَمُنْذُ أَنْ ماتَتْ عَمَّتي سابينا لا أَجِدُ أَحَدًا أَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ . إِنَّنا نَمْتَلِكُ واديًا رائِعًا ، وَأَنا أُحِبُّ ٱلأَمْنَ وَٱلسَّلامَ ، كَما أُحِبُّ ٱلهُدوءَ وَٱلقِراءَةَ ، وَلٰكِنَّ كُلَّ ما يَدورُ حَوْلي هُنا هُوَ ٱلقَتْلُ وَٱلنَّهْبُ وَٱلكَلامُ ٱلخَشِنُ ٱلبَذيءُ . وَكَثيرًا ما يَدْعونَني هُنا بِٱلمَلِكَةِ وَيَزْعُمونَ أَنَّني سَأَكونُ مَلِكَةً عَلى هٰذا الوادي . غَيْرَ أَنَّني لا أَشْعُرُ بِٱلانْتِماءِ إِلَيْهِمْ ، وَأَمْقُتُ مَسْلَكَهُمْ في ٱلحَياةِ . وَهُناكَ شَخْصٌ يُريدُ أَنْ يَتَزَوَّجَني ، وَهُوَ كارْفَر ، ابْنُ ٱلمُسْتَشارِ . إِنَّهُ أَقْوى وَأَشْجَعُ ٱلرِّجالِ في آلِ دون ، وَلٰكِنَّهُ أَخْشَنُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ وَحْشِيَّةً . وَأَنا لا أُحِبُّهُ ، وَلٰكِنَّهُ قَدْ يُجْبِرُني عَلى ٱلزَّواجِ بِهِ . وَكَثيرًا ما يَأْتي وَيُقَدِّمُ إِلَيَّ جَواهِرَ وَحُلِيًّا سَرَقَها مِنَ ٱلآخَرينَ . »

أَدْرَكْتُ مِنَ ٱلنَّظْرَةِ ٱلَّتي ارْتَسَمَتْ حينَئِذٍ عَلى وَجْهي أَنَّني قَدْ سَمِعْتُ

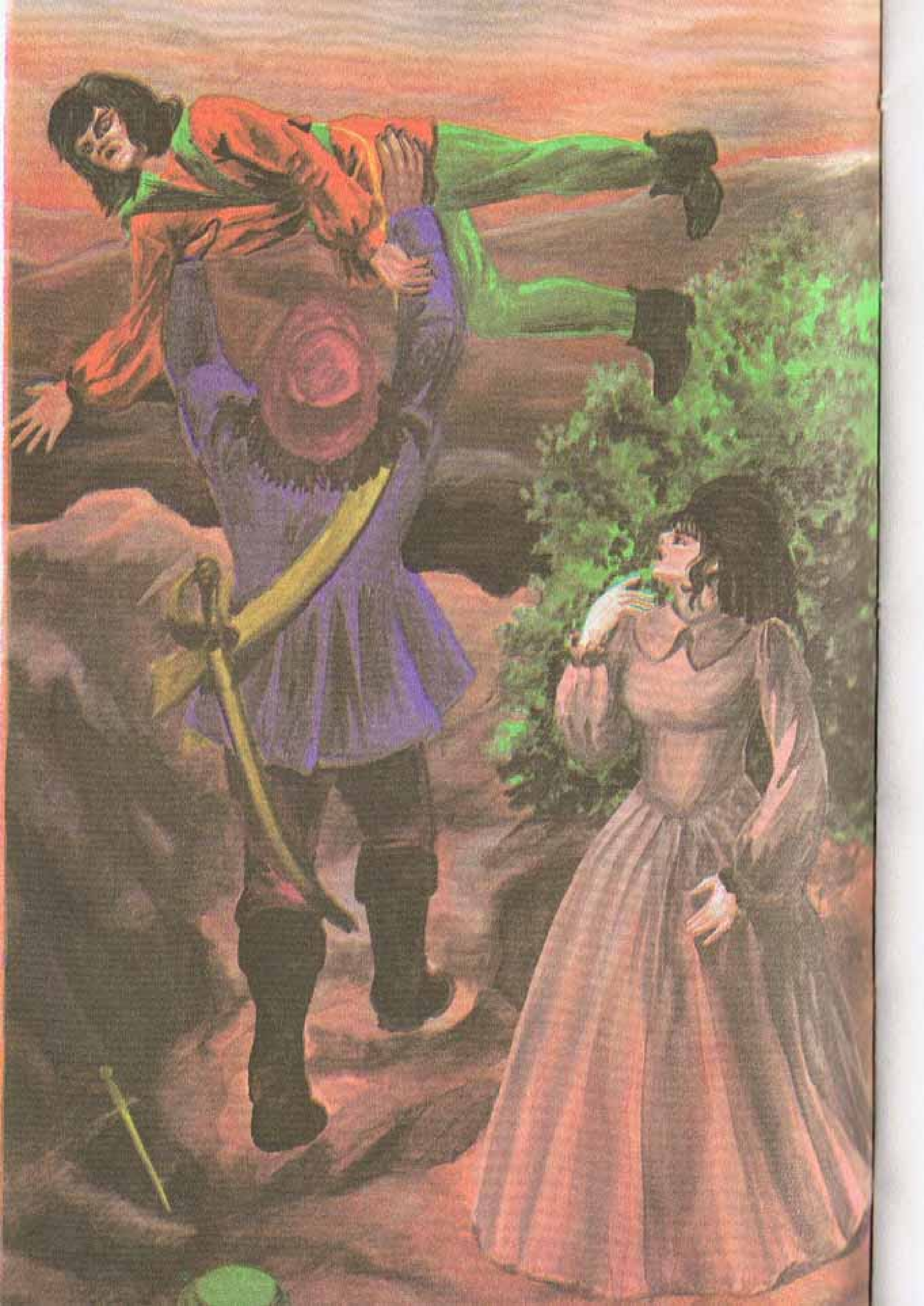


بِكارْفَر مِنْ قَبْلُ ، إِذْ ما إِنْ طَرَقَ اسْمُهُ مَسْمَعي ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ يُجْبِرُ لورْنا عَلى ٱلزَّواجِ بِهِ ، حَتّى ثارَتْ ثائِرَتي ، وَوَدِدْتُ لَوْ أَنَّني أَحْضَرْتُ بُنْدُقِيَّتي لِأَقْتُلَهُ في ٱلحالِ .

اسْتَأْنَفَتْ لورْنا ٱلحَديثَ : « كانَتِ ٱلعَمَّةُ سابينا تُؤْنِسُ وَحْشَتي ، لٰكِنَّها ماتَتْ . وَكانَتْ أُمًّا رَءُومًا لي ، وَهِيَ ٱلَّتي عَلَّمَتْني كُلَّ ما أَعْرِفُهُ ٱلآنَ مِنْ أَشْياءَ طَيِّبَةٍ في ٱلحَياةِ . لَقَدْ ماتَتْ مُنْذُ عامٍ ، وَمُنْذُ ذٰلِكَ ٱلحينِ ، لا أَجِدُ مَنْ أَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ سِوى خادِمَتي ٱلصَّغيرةِ : جويني كارْفاكْس وَهِيَ فَتاةٌ صَغيرةٌ وَجَدْناها بَيْنَ ٱلتِّلالِ وَكادَتْ أَنْ تَموتَ لَوْ لَمْ نُدْرِكْها . وَكانَ أَبوها قَدْ وَلّى هارِبًا ذاتَ يَوْمٍ ، وَانْقَطَعَتْ أَخْبارُهُ مُنْذُ ذٰلِكَ ٱلحينِ . وَهِيَ قَبيحَةُ ٱلشَّكْلِ جِدًّا ، وَلا أَحَدَ مِنَ ٱلرِّجالِ يُحِبُّ ٱلنَّظَرَ إِلَيْها . وَهِيَ تَسْتَطيعُ أَنْ تَجولَ في أَيِّ مَكانٍ دونَ أَنْ يَمْنَعَها ٱلحُرّاسُ .

« وَذاتَ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ يولْيَه ٱلماضي وَقَعَ لي حادِثٌ رَهيبٌ ، وَكُلَّما تَذَكَّرْتُهُ شَعَرْتُ بِٱلفَزَعِ . كُنْتُ في طَريقي إِلى ٱلبَيْتِ ، عائِدَةً مِنْ هٰذا ٱلمَكانِ ، عِنْدَما خَرَجَ شابٌّ بَغْتَةً مِنْ خَلْفِ ٱلأَشْجارِ . وَكانَ يَبْدو أَنيقًا في رِدائِهِ ٱلحَريرِيِّ ذي ٱللَّوْنَيْنِ ٱلأَحْمَرِ وَٱلأَخْضَرِ ، وَكانَ يَحْمِلُ في يَدِهِ سَيْفًا صَغيرًا . وَبادَرَني قائِلًا : ‹ أَنا ٱللّوردُ أَلان براندير ، ٱبْنُ خالِكِ ، وَقَدْ عَيَّنَتْني ٱلحُكومَةُ وَصِيًّا عَلَيْكِ إِلى أَنْ تَبْلُغي ٱلحادِيَةَ وَٱلعِشْرينَ مِنَ ٱلعُمْرِ . وَسَوْفَ أَقومُ مِنَ ٱلآنَ بِتَدْبيرِ شُؤونِكِ . ›

« أَجَبْتُ بِدَهْشَةٍ : ‹ أَنْتَ وَصِيٌّ عَلَيَّ ! › ثُمَّ أَضَفْتُ ضاحِكَةً : ‹ وَلٰكِنْ كَيْفَ ، وَعُمْرُكَ قَريبٌ مِنْ عُمْري ! › فَأَجابَني قائِلًا : ‹ لَعَلَّكِ عَلى حَقٍّ .



إنَّني أَقْوى وَأَكْبَرُ سِنًّا مِمَّا أَبْدو . وَلَوْ هاجَمَني أَشَدُّ ٱلرِّجالِ في آلِ دُون لَشَطَرْتُهُ نِصْفَيْنَ ! ›

« قُلْتُ عَلى ٱلفَوْرِ : ‹ اِخْفِضْ صَوْتَكَ ، فَقَدْ يَسْمَعُكَ واحِدٌ مِنْهُمْ . يَجِبُ أَنْ تَذْهَبَ ٱلآنَ ! › وَكانَ ٱلظَّلامُ قَدْ تَسَلَّلَ إلى ٱلمَكانِ ، وَكانَ ٱلجَوُّ يُنْذِرُ بِعاصِفَةٍ شَديدَةٍ . وَما لَبِثَ ٱلشَّابُّ أَنْ قالَ : ‹ يا ٱبْنَةَ عَمَّتي ٱلعَزيزَةَ ، أَعْطِني زَهْرَةً واحِدَةً كَيْ أَتَذَكَّرَكِ وَسَوْفَ أَعودُ في ٱلقَريبِ ٱلعاجِلِ . ›

« فَجْأَةً هَبَطَ عَلَيْنا كارْفَر دُون صائِحًا : ‹ هٰذا ما لَنْ تَفْعَلَهُ أَبَدًا ! ›

« وَأَخَذَ أَلان بَيْنَ ذِراعَيْهِ ، وَرَفَعَهُ إلى أَعْلى كَما يَرْفَعُ طِفْلًا صَغيرًا ، ثُمَّ اخْتَفى بِهِ في جَوْفِ ٱلظَّلامِ . وَسَمِعْتُ صَوْتَ ارْتِطامِ جِسْمٍ ثَقيلٍ بِٱلأَرْضِ ، وَلَمْ أَسْمَعْ صَرْخَةً ، غَيْرَ أَنَّني عَرَفْتُ ما حَدَثَ : فَقَدْ لَقِيَ ٱلفَتى ٱلمِسْكينُ مَصْرَعَهُ بِيَدِ كارْفَر ! وَمُنْذُ ذٰلِكَ ٱليَوْمِ وَأَنا أَشْعُرُ بِٱلأَسى وَٱلوَحْشَةِ . إنَّ هٰذا ٱلوادِيَ يَخْلو مِنَ ٱلبَهْجَةِ ، وَلا تَجِدُ فيهِ سِوى ٱلخَوْفِ وَٱلتَّعاسَةِ . »

كانَ ٱللَّيْلُ قَدْ حَلَّ عِنْدَما أَنْهَتْ لُورْنا قِصَّتَها ، فَقالَتْ خائِفَةً : « سَوْفَ يَأْتي آلُ دُون . يَجِبُ أَنْ تَذْهَبَ ٱلآنَ ، وَلا تَعُدْ قَبْلَ انْقِضاءِ شَهْرٍ . اِنْتَظِرْ شَهْرًا ، ثُمَّ عُدْ . »

قُلْتُ لَها : « وَلٰكِنْ رُبَّما احْتَجْتِ إلَيَّ قَبْلَ انْقِضاءِ هٰذا ٱلوَقْتِ . »

أَشارَتْ إلى حَجَرٍ أَبْيَضَ كَبيرٍ قائِلَةً : « يُمْكِنُكَ أَنْ تَرى ذٰلِكَ ٱلحَجَرَ بِوُضوحٍ مِنَ ٱلتَّلِّ ٱلمُقابِلِ . وَسَوْفَ أَضَعُ عَلَيْهِ قِطْعَةً مِنَ ٱلقُماشِ ٱلأَسْوَدِ إذا احْتَجْتُ إلَيْكَ . »

وَسارَتْ مُسْرِعَةً بَيْنَ ٱلأَشْجارِ ، وَهَبَطْتُ ٱلصَّخْرَةَ عائِدًا إلى مَنْزِلي .

## الفصلُ الثّاني عشَرَ

## جيريمي ستِكلز

اِقْتَرَبَ شَهْرُ ٱلِانْتِظارِ مِنْ نِهايَتِهِ . وَكُنْتُ أَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ لِأَرى ٱلحَجَرَ ٱلأَبْيَضَ ، وَأَنا دائِمُ ٱلتَّفْكيرِ في لُورْنا دُون . وَكانَ يُؤَرِّقُني ٱلخَوْفُ مِنْ أَنْ يَفوزَ بِها دُوني أَحَدُ ٱلشُّبّانِ ٱلنُّبَلاءِ مِنْ ذَوي ٱلأَصْلِ ٱلعَريقِ .

في عَصْرِ أَحَدِ ٱلأَيّامِ ، وَبَعْدَ أَنْ فَرَغْتُ مِنْ إِطْعامِ ٱلخَيْلِ ، رَأَيْتُ وَأَنا عائِدٌ إِلى ٱلمَنْزِلِ رَجُلًا قادِمًا عَلى ظَهْرِ جَوادِهِ مِنْ ناحِيَةِ ٱلنَّهْرِ . وَظَنَنْتُهُ أَحَدَ ٱلمُسافِرينَ ، وَلٰكِنَّهُ تَوَقَّفَ عِنْدَ بَوّابَةِ مَنْزِلِنا ، وَلَوَّحَ بِشَيْءٍ ما في يَدِهِ صائِحًا : « بِاسْمِ ٱلمَلِكِ ! » وَما إِنْ رَآني حَتّى صاحَ ثانِيَةً : « تَعالَ يا فَتى ! » وَسِرْتُ نَحْوَهُ في بُطْءٍ ، إِذْ كُنْتُ لا أُحِبُّ أَنْ أُسْرِعَ إِلى أَيِّ فَرْدٍ .

سَأَلَني ٱلرَّجُلُ : « هَلْ هٰذِهِ مَزْرَعَةُ رِد ؟ »

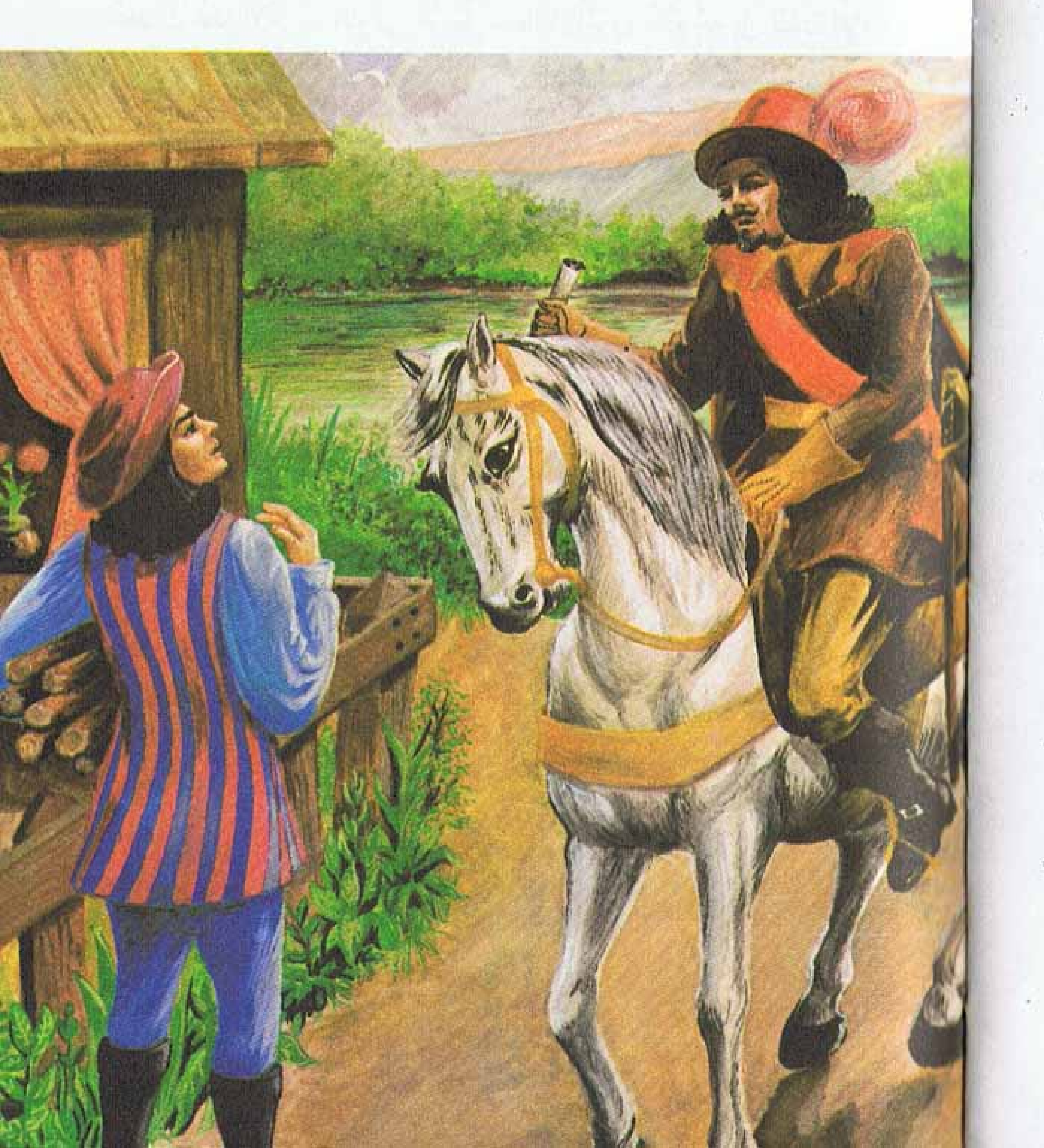
أَجَبْتُهُ : « أَجَلْ ، يا سَيِّدي . إِنَّها مَزْرَعَةُ رِد . تَفَضَّلْ بِالدُّخولِ لِنُقَدِّمَ لَكَ ٱلطَّعامَ . »

كانَ ٱلرَّجُلُ في حَوالَى ٱلأَرْبَعينَ مِنْ عُمْرِهِ ، وَتَبْدو عَلى وَجْهِهِ سِماتُ ٱلصَّرامَةِ ، وَلَهُ عَيْنانِ صَغيرَتانِ سَريعَتا ٱلحَرَكَةِ .

صِحْتُ مُنادِيًا آني لِتُعِدَّ لِلرَّجُلِ شَيْئًا مِنَ ٱللَّحْمِ يَتَناوَلُهُ عَلى ٱلغَداءِ .



قالَ ٱلرَّجُلُ : « نَعَمْ ، أَنا جائِعٌ ، غَيْرَ أَنَّني لَنْ أَتَناوَلَ أَيَّ طَعامٍ أَوْ شَرابٍ قَبْلَ أَنْ أَرى جُون رِد بِعَيْنَيْ رَأْسي . »



أَجَبْتُ : « لَقَدْ رَأَيْتَهُ لِلتَّوِّ . أنا جُون رد . »

قالَ الرَّجُلُ : « وَأنا جيريمي ستِكِلز ، خادِمُ ٱلمَلِكِ . بِاسْمِ ٱلمَلِكِ ، أُعْطيكَ هٰذا ٱلأَمْرَ . »ناوَلَني ٱلرَّجُلُ خِطابًا يَأْمُرُني بِٱلتَّوَجُّهِ إلى لَنْدَن لِلْإِدْلاءِ لِقُضاةِ ٱلمَلِكِ بِكُلِّ ما أَعْرِفُ عَنْ آلِ دُون ، وَعَنْ أَفْعالِهِمِ ٱلمُخالِفَةِ لِلْقانونِ .

انْتَظَرْتُ خَمْسَةَ أَيّامٍ عَلى أَمَلِ أَنْ أَرى ٱلإشارَةَ ٱلمُتَّفَقَ عَلَيْها مَعَ لُورْنا دُون وَلَمّا لَمْ أَرَ تِلْكَ ٱلإشارَةَ ، بَدَأْتُ ٱلرِّحْلَةَ إلى لَنْدَن مَعَ جيريمي ستِكِلز .



## الفَصْلُ ٱلثّالِثَ عَشَرَ

## زِيارَتي لِلَنْدَن

كانَتِ ٱلرِّحْلَةُ إلى لَنْدَن في تِلْكَ ٱلأَيّامِ طَويلَةً وَمَحْفوفَةً بِٱلمَخاطِرِ .

وَصَلْنا إلى بُورْلُوك في مَوْعِدِ ٱلغَداءِ . وَقَضَيْنا ٱللَّيْلَ مَعَ أَحَدِ أَقارِبِ أُمّي في بَلْدَةِ دَنِسْتَر ، ثُمَّ تَوَجَّهْنا إلى بِرِدْجْوُتَر . وَهٰكَذا واصَلْنا ٱلسَّفَرَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ إلى أَنْ وَصَلْنا إلى مَدينَةِ لَنْدَن .

لَمْ تَجْذِبْني لَنْدَن ، وَلَمْ يُعْجِبْني فيها سِوى نَهْرِ ٱلتّيمز ، أَمّا ٱلشَّوارِعُ فَقَدْ كانَتْ قَذِرَةً ، صاخِبَةً تَعِجُّ بِٱلنّاسِ .

مَكَثْتُ في لَنْدَن شَهْرَيْنِ حَتّى كادَتْ نُقودي أَنْ تَنْفَدَ . وَذَهَبْتُ إلى ٱلمَحاكِمِ عِدَّةَ مَرّاتٍ دُونَ أَنْ أَتَمَكَّنَ مِنَ ٱلإدْلاءِ بِأَقْوالي أَمامَ ٱلقاضي ، وَدُونَ أَنْ أَجِدَ أَحَدًا يُرْشِدُني إلى ما يَجِبُ أَنْ أَفْعَلَهُ .

بَيْنَما كُنْتُ جالِسًا في قاعَةِ ٱلمَحْكَمَةِ ذاتَ يَوْمٍ ، جاءَني رَجُلٌ وَقادَني إلى مَكانٍ هادِئٍ حَيْثُ بادَرَني بِٱلحَديثِ قائِلًا : « حَسَنًا يا جُون ، كَيْفَ حالُ أُمِّكَ ٱلعَزيزَةِ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « لَمْ أَرَها مُنْذُ شَهْرَيْنِ . » وَتَظاهَرَ ٱلرَّجُلُ بِأَنَّهُ يَعْرِفُ أُسْرَتي حَقَّ ٱلمَعْرِفَةِ ، فَأَنِسْتُ إلَيْهِ ، وَأَطْلَعْتُهُ عَلى ما أُلاقي في ٱلمَدينَةِ ٱلكَبيرَةِ ، مِنْ صُعوباتٍ بَعْدَ أَنْ أَنْفَقْتُ كُلَّ ما كُنْتُ أَحْمِلُ مِنْ نُقودٍ . وَاسْتَمَعَ ٱلرَّجُلُ إلى شَكْواي ، وَصَمَتَ قَليلًا ، ثُمَّ قالَ لي إنَّ ٱلحُكومَةَ مُلْتَزِمَةٌ بِأَنْ تَرُدَّ إلَيَّ كُلَّ ما

أَنْفَقْتُ مِنْ نُقودٍ عَلى ٱلْمَسْكَنِ وَٱلْغِذاءِ أَثْناءَ إِقامَتي في لَنْدَن ، وَإِنَّهُ عَلَيَّ أَنْ أَطْلُبَ مُقابَلَةَ ٱلْقاضي ٱلَّذي أَمَرَني بِٱلْمَجيءِ إِلى هٰذا ٱلْمَكانِ .

شَكَرْتُ ٱلرَّجُلَ ، وَشَرَعْتُ في مُغادَرَةِ ٱلْمَكانِ ، وَلٰكِنَّهُ أَمْسَكَ بِذِراعي قائِلًا : « يَجِبُ أَنْ تَدْفَعَ لي أَجْرَ هٰذِهِ ٱلِاسْتِشارَةِ : أُريدُ جُنَيْهَيْنِ . »

شَعَرْتُ بِٱلْخَوْفِ أَوَّلَ ٱلْأَمْرِ ، فَقَدْ كُنْتُ لا أَحْمِلُ نُقودًا وَقُلْتُ بِصَوْتٍ تَشوبُهُ ٱلدَّهْشَةُ : « لٰكِنَّكَ يا سَيِّدي ، سَأَلْتَني عَنْ صِحَّةِ والِدَتي . لَقَدْ كُنّا نَتَبادَلُ حَديثًا وُدِّيًّا فَحَسْبُ ! »

رَدَّ قائِلًا : « وَهَلْ تَظُنُّ أَنَّ لَدَيَّ وَقْتًا أُضَيِّعُهُ في ٱلْأَحاديثِ ٱلْوُدِّيَّةِ ؟ إِنَّني رَجُلُ أَعْمالٍ . هَيّا أَخْرِجْ نُقودَكَ ، يا جُون رِد . لابُدَّ مِنْ أَنْ أَحْصُلَ عَلى جُنَيْهَيْنِ . »

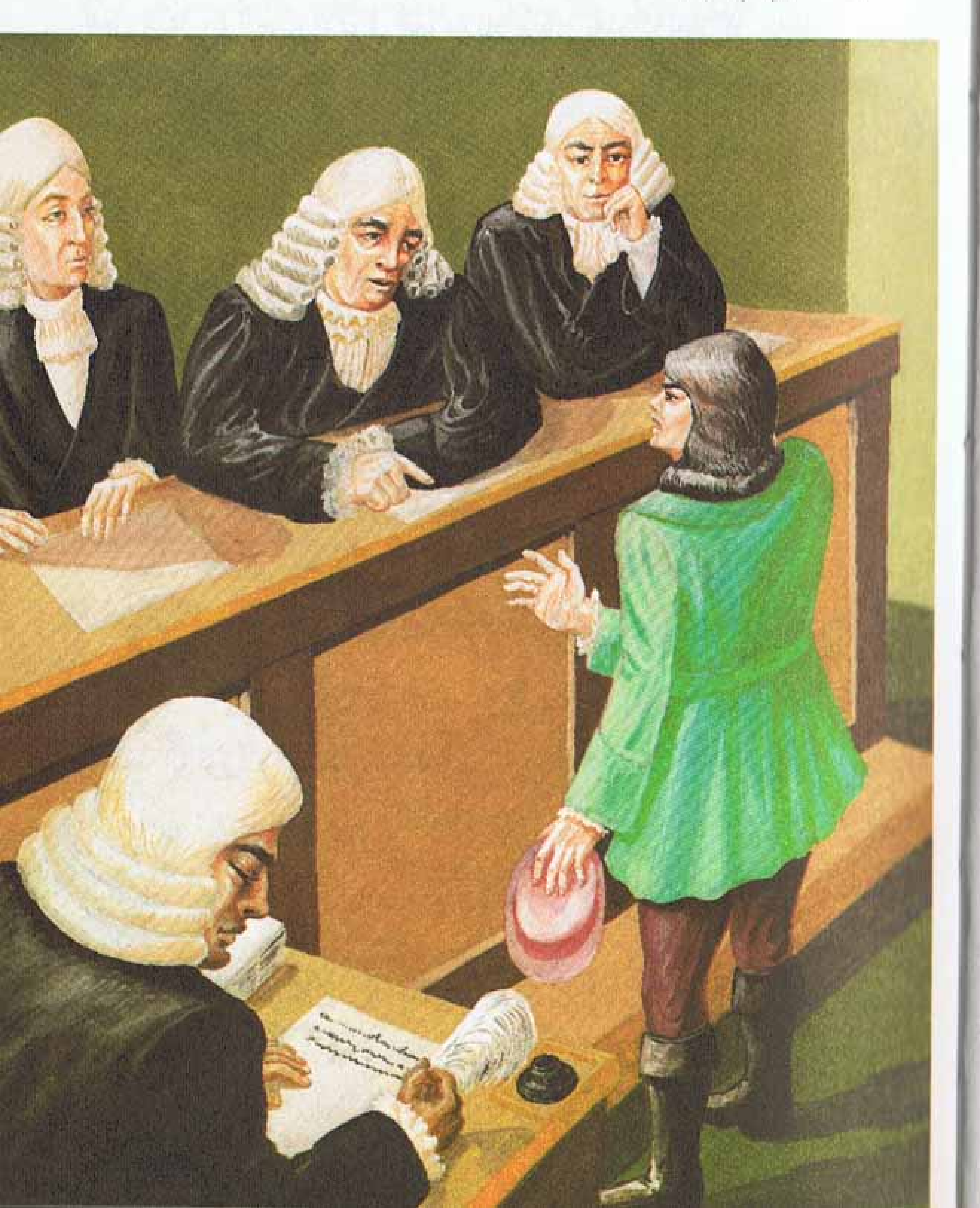
شَعَرْتُ بِٱلْغَضَبِ ، فَأَجَبْتُهُ عَلى ٱلْفَوْرِ : « حَسَنًا ، لَقَدْ أَخْبَرْتَني بِأَنَّ ٱلْحُكومَةَ مُلْزَمَةٌ بِدَفْعِ تَكاليفِ إِقامَتي هُنا في لَنْدَن . تَعالَ مَعي إِذًا لِنُطْلِعَ ٱلْقاضيَ عَلى هٰذا ٱلْأَمْرِ . » وَأَمْسَكْتُ بِذِراعِهِ ، وَجَذَبْتُهُ بِشِدَّةٍ نَحْوَ غُرْفَةِ ٱلْقاضي .

عِنْدَما أَدْرَكَ ٱلرَّجُلُ أَنَّني سَآخُذُهُ إِلى ٱلْقاضي ، خافَ وَأَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ جُنَيْهَيْنِ ذَهَبِيَّيْنِ وَوَضَعَهُما في يَدي ثُمَّ وَلّى هارِبًا .

خَرَجَ في تِلْكَ ٱللَّحْظَةِ أَحَدُ ٱلْكَتَبَةِ مِنْ غُرْفَةِ ٱلْقاضي وَأَمَرَني بِٱلدُّخولِ ، فَدَخَلْتُ ٱلْحُجْرَةَ ، وَوَقَفْتُ أَمامَ أَقْوى رَجُلٍ في إِنْجِلْتِرا : ٱلْقاضي جيفْريز . لَمْ تَكُنِ ٱلْحُجْرَةُ كَبيرَةً جِدًّا . وَكانَ في نِهايَتِها ثَلاثَةُ مَقاعِدَ عالِيَةٍ يَجْلِسُ



عَلَيْها ثَلاثَةُ رِجالٍ ، يَتَوَسَّطُهُمْ رَجُلٌ ضَخْمٌ مَهيبٌ ذو نَظَراتٍ حادَّةٍ غاضِبَةٍ ، هُوَ ٱلْقاضي جيفْريز .



سَأَلَني : « مَنْ أَنتَ ؟ » فَأَجَبْتُ : « جُون رِد الَّذي اِسْتَدْعاهُ جيريمي ستِكِلز مُنْذُ شَهْرَيْنِ لِلْحُضورِ إلى لَنْدَن . لَقَدْ مَكَثْتُ هُنا مُدَّةَ شَهْرَيْنِ دُونَ أَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا ، وَأَرْغَبُ الآنَ في العَوْدةِ إلى قَرْيَتي بَعْدَ أَنْ نَفِدَ كُلُّ ما لَدَيَّ مِنْ نُقودٍ . »

سَأَلَني القاضي : « أَلَمْ تُسَدِّدْ لَكَ الحُكومةُ بَعْدُ أَجْرَ السَّفَرِ وَتَكاليفَ الإقامةِ في المَدينةِ ؟ »

أَجَبْتُ : « نَعَمْ ، يا سَيِّدي . »

فَنادَى القاضي المُوَظَّفَ المُكَلَّفَ بِخِدْمَتِهِ قائِلًا : « ادْفَعْ لِهٰذا الرَّجُلِ في الحالِ ، يا سبانْك ، وَدَعْهُ يَعودُ في الغَدِ لِمُقابَلَتي . »

عُدْتُ في اليَوْمِ التَّالي إلى المَحْكَمةِ . وَسَأَلَني القاضي : « هَلْ يُوجَدُ في الإقْليمِ الَّذي تَعيشُ فيهِ بَعْضُ اللُّصوصِ الَّذينَ يُلْحِقونَ الأَذى بِالنَّاسِ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « أَجَلْ ، يا سَيِّدي . »

سَأَلَني : « وَلِماذا لا يَنْهَضُ لوردُ وِيشِيهالس لِمُحارَبَتِهِمْ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « إِنَّ آلَ دُون مِنْ أَصْلٍ عَريقٍ ، وَهُمْ يَقْطُنونَ وادِيًا حَصينًا ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّ لوردَ وِيشِيهالس يَخْشاهُمْ . »

سَأَلَني : « ما اسْمُ هٰؤُلاءِ القَوْمِ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « آل دُون ، يا سَيِّدي . وَعَدَدُهُمْ أَرْبَعونَ تَقْريبًا . »

صاحَ القاضي بِدَهْشةٍ : « أَرْبَعونَ مِنْ آلِ دُون ! أَرْبَعونَ مِنَ اللُّصوصِ ! وَمَتى اسْتَقَرُّوا هُناكَ ؟ »



قُلْتُ : « مُنْذُ حَوالَى ثَلاثينَ عامًا ، ياسَيِّدي . »

سَأَلَني القاضي وَهُوَ يَتَفَرَّسُ فِيَّ : « أَلَمْ يَخْطِرْ بِبالِكَ يَوْمًا أَنَّ لوردَ وِيشِيهالس قَدْ يَكونُ صَديقًا لِآلِ دُون ؟ »

دَهِشْتُ دَهْشةً شَديدةً ، إِذْ لَمْ تَخْطِرْ لي هٰذِهِ الفِكْرةُ مِنْ قَبْلُ ، مَعَ إِنَّهُ مِنَ المُحْتَمَلِ أَنْ تَكونَ صَحيحةً .

قالَ القاضي : « تُنْبِئُني عَيْناكَ يا جُون رِد بِكُلِّ ما أَوَدُّ أَنْ أَعْرِفَهُ . وَأَرى أَنَّكَ لَمْ تُفَكِّرْ في مِثْلِ هٰذا الأَمْرِ مِنْ قَبْلُ . وَالآنَ ، أَخْبِرْني : هَلْ سَبَقَ لَكَ أَنْ رَأَيْتَ رَجُلًا يُدْعَى تُوم فاجَّس ؟ »

قُلْتُ : « أَجَلْ ، رَأَيْتُهُ كَثيرًا يا سَيِّدي ، فَهُوَ ابْنُ عَمِّي . »

قالَ القاضي : « إِنَّهُ رَجُلٌ طَيِّبٌ . لا رَيْبَ في أَنَّهُ لِصٌّ ، وَلٰكِنَّهُ رَجُلٌ طَيِّبٌ بِالرَّغْمِ مِنْ ذٰلِكَ ، وَهُوَ يَخْدُمُ المَلِكَ بِإِخلاصٍ . وَالآنَ قُلْ لي : هَلْ هُناكَ أَحاديثُ تَدورُ في إِقْليمِكَ عَنْ عِصْيانٍ يُدَبَّرُ ضِدَّ جَلالةِ المَلِكِ ؟ »

أَجَبْتُهُ : « كَلَّا ، يا سَيِّدي . نَحْنُ قَوْمٌ هادِئونَ مُطيعونَ ، وَنَخْدُمُ المَلِكَ بِإِخلاصٍ كَما يُمْلي عَلَيْنا الواجِبُ . »

قالَ القاضي : « هٰذا حَسَنٌ . إِنَّني مُعْجَبٌ بِكَ يا جُون رِد ، فَأَنْتَ رَجُلٌ طَيِّبٌ . تَجَنَّبْ آل دُون ، وَتَجَنَّبْ لُوردَ وِيشِيهالس أَيْضًا . وَلا تَذْكُرْ لِأَحَدٍ شَيْئًا مِمَّا جَرى هُنا . وَسَوْفَ أَبْعَثُ بِأَحَدِ رِجالي إلى بَلْدَتِكَ لِيُطْلِعَني عَلى سَيْرِ الأَحْوالِ فيها . وَالآنَ ، عُدْ إلى قَرْيَتِكَ ، وَسَوْفَ أَتَذَكَّرُكَ دائِمًا . »

# الفصلُ ٱلرَّابعَ عشَرَ

## العَوْدةُ إلى ٱلبيْتِ

سافَرْتُ بِمُفْرَدي عائِدًا مِنْ نفسِ ٱلطَّريقِ ٱلطَّويلِ إلى إقْليمِ سُومِرْسِت . وَلَمْ أُصادِفْ أَخْطارًا في ٱلطَّريقِ ، غَيْرَ أَنَّني دَهِشْتُ لِرُؤْيةِ أُخْتي آني واقِفةً في ٱنْتِظاري على قِمَّةِ ٱلتَّلِّ ٱلواقِعِ قُرْبَ ٱلمَنْزِلِ . وَقالَتْ لي إنَّها كانَتْ تَجيءُ إلى ذٰلِكَ ٱلمَكانِ صَباحَ ٱلسَّبْتِ مِنْ كُلِّ أُسْبوعٍ ، لِأَنَّها كانَتْ مُتأَكِّدةً مِنْ أَنَّني سَوْفَ أَعودُ يَوْمَ سَبْتٍ .

قَدَّمْتُ لِأُمّي وَلِأُخْتَيَّ ما ٱشْتَرَيْتُ لَهُنَّ مِنْ هَدايا في لَنْدَن ، فَسُرِرْنَ بِها ، وَسَأَلْنَني أَسْئِلةً كَثيرةً جِدًّا عَنْ تِلْكَ ٱلمَدينةِ ٱلعَظيمةِ . وَما لَبِثَتْ عَواطِفي وَأَفْكاري أَنِ ٱتَّجَهَتْ إلى لُورْنا في ٱليَوْمِ ٱلتّالي ، فَخَرَجْتُ مُبَكِّرًا في ٱلصَّباحِ ، وَذَهَبْتُ إلى جانِبِ ٱلتَّلِّ ٱلَّذي أَسْتَطيعُ أَنْ أَرى مِنْهُ ٱلحَجَرَ ٱلأَبْيَضَ . وَكانَ ٱلحَجَرُ مُغَطًّى بِقِطْعةٍ مِنَ ٱلقُماشِ ٱلأَسْوَدِ !

لَمْ أَعْرِفْ بِٱلطَّبْعِ مَتى وَضَعَتْ لُورْنا ٱلقُماشَ عَلى ٱلحَجَرِ . غَيْرَ أَنَّني لَمْ أُضَيِّعْ لَحْظةً أُخْرى ، فَتَوَجَّهْتُ مُباشَرةً إلى ٱلشَّلّالِ ، وَتَسَلَّقْتُهُ داخِلًا ٱلوادي . كانَتِ ٱلطُّيورُ تُغَرِّدُ في أَعْشاشِها تَحْتَ شَمْسِ ٱلأَصيلِ ٱلذَّهَبيَّةِ ، وَكانَتِ ٱلأَشْجارُ تَلْمَعُ في ضَوْءِ ٱلغُروبِ ٱلباهِتِ . وَوَقَفْتُ أَنْتَظِرُ هُناكَ .

أَخيرًا ظَهَرَتْ لُورْنا مِنْ بَعيدٍ ، وَكانَتْ تَبْدو صَغيرةً وَجَميلةً جِدًّا وَهِيَ تَسيرُ بَيْنَ ٱلظِّلالِ ٱلمُتَرامِيةِ . وَجَرَيْتُ نَحْوَها غَيْرَ مُبالٍ بِٱلحُرّاسِ أَوِ ٱلأَخْطارِ



ٱلكَثيرةِ ٱلمُحْدِقةِ بي . غَيْرَ أَنَّ ٱلخَوْفَ كانَ يَبْدو في عَيْنَيْها .

قُلْتُ في لَهْفةٍ : « لَقَدْ كُنْتِ في حاجةٍ إِلَيَّ إذًا ! »

أَجابَتْ : « نَعَمْ ، وَلٰكِنْ كانَ ذٰلِكَ مُنْذُ وَقْتٍ طَويلٍ ، كانَ ذٰلِكَ مُنْذُ شَهْرَيْنِ ، وَٱلآنَ هَيَّا بِنا نَبْتَعِدُ عَنْ هٰذا ٱلمَكانِ ٱلمَكْشوفِ ، وَتَعالَ نَسيرُ بَيْنَ ظِلالِ ٱلأَشْجارِ . » وَقادَتْني لُورْنا إلى مَخْبَئِها ٱلأَمينِ .

بَدَأَتْ حَديثَها بِسُؤالي : « لِماذا تَخَلَّيْتَ عَنّي ؟ لَقَدْ أَعْطَيْتُكَ ٱلإِشارةَ ، وَلٰكِنَّكَ لَمْ تَسْتَجِبْ ، فَلِماذا لَمْ تَأْتِ ؟ لَقَدْ تَرَكْتَني لِلآخَرينَ لِيَفْعَلوا بي ما يَشاءُونَ . إِنَّهُمْ يُحاوِلونَ إِجْباري عَلى ٱلزَّواجِ بِكارْفَر ، كَما أَنَّ تشارْلي دُون يَتَطَلَّعُ إِلَيَّ ، وَجَدّي يَخْشى أَنْ يَتَقاتَلَ تشارْلي وَكارْفَر مِنْ أَجْلي . »

لَنْ أُعيدَ عَلَيْكُمْ ما قُلْتُهُ لَها مِنْ وُعودٍ بِأَلّا أَتْرُكَها مَرَّةً أُخْرى . وَقَدَّمْتُ لَها ٱلهَدِيَّةَ ٱلَّتي أَحْضَرْتُها مِنْ لَنْدَن . وَسُرْعانَ ما صَفَحَتْ عَنّي ، وَوَضَعْنا مَعًا خُطَّةً تُراسِلُني بِمُقْتَضاها إذا ما ٱحْتاجَتْ إِلَيَّ .

قالَتْ لي : « وَٱلآنَ ٱذْهَبْ يا جُون ، لِأَنَّ ٱلوَقْتَ قَدْ حانَ لِتَعودَ إلى أُمِّكَ . » وَأَكْمَلَتْ ضاحِكةً : « يُمْكِنُكَ أَنْ تَأْتيَ لِتَراني مَرَّةً أُخْرى بَعْدَ شَهْرَيْنِ . » وَٱنْصَرَفَتْ .

## الفَصْلُ ٱلخامِسَ عَشَرَ

## الخالُ رِيُوبن مَرَّةً أُخرَى

عِنْدَما عُدْتُ مِنْ وادي آلِ دُون ، وَجَدْتُ ٱلرِّجالَ في ٱلمَزْرَعةِ يَسْتَعِدُّونَ لِحَصْدِ ٱلقَمْحِ ، فاشْتَرَكْتُ في ٱلعَمَلِ مَعَهُمْ .

وَبَيْنَما كُنّا مُنْهَمِكينَ في ٱلحَصادِ ، وَصَلَ ٱلخالُ رِيُوبن ، مَعَ حَفيدَتِهِ رُوث هَكّاباك وَكانَتْ أُمِّي تَرْغَبُ في أَنْ أَتَزَوَّجَ رُوث ، لِأَنَّها كانَتِ – كَما ذَكَرْتُ مِنْ قَبْلُ – ٱلوَريثَةَ لِكُلِّ أَمْوالِ جَدِّها رِيُوبن .

كانَ ٱلخالُ رِيُوبن مَشْغولًا بِمُهِمَّةٍ خاصَّةٍ ، وَكانَ يَخْرُجُ عَلى جَوادِهِ مِنْ أَجْلِها إلى ٱلتِّلالِ ٱلبَعيدَةِ كُلَّ يَوْمٍ . وَكُنّا نَسْمَعُ أَقاصيصَ غَريبَةً عَنْ أَشْخاصٍ تَمَرَّدوا عَلى ٱلمَلِكِ وَيَتَهَيَّأُونَ لِلْقِتالِ ضِدَّهُ . عِنْدَئِذٍ تَذَكَّرْتُ ما قالَهُ لي ٱلقاضي جيفْريز فَلَمْ أَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ ، غَيْرَ أَنَّني كُنْتُ أَخْشَى ما قَدْ يَحْدُثُ فيما بَعْدُ .

ذاتَ مَساءٍ ، رَأَيْتُ أُخْتي آني جالِسَةً بِمُفْرَدِها عِنْدَ قَبْرِ والِدي . وَكُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّها تَتَطَلَّعُ إلى زِيارَةٍ مِنْ تُوم فاجِس . وَأَخَذْتُ أُحَدِّثُها عَنْ تُوم ، وَنَصَحْتُها بِالِابْتِعادِ عَنْهُ لِأَنَّهُ قاطِعُ طَريقٍ .

انْدَفَعَتْ قائِلَةً : « وَمَنْ هُمْ آلُ دُون ؟ أَلَيْسوا قُطّاعَ طُرُقٍ كَذٰلِكَ ؟! وَمَعَ هٰذا فَأَنْتَ تُحِبُّ واحِدَةً مِنْهُمْ . »

اعْتَرَتْني دَهْشَةٌ شَديدَةٌ فَقُلْتُ لَها : « لٰكِنْ كَيْفَ عَرَفْتِ ذٰلِكَ ؟ »

أَجابَتْ : « لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ . وَلٰكِنْ كانَ لَدَيَّ إِحْساسٌ أَنَّكَ وَلُورْنا



مُتَحابّانِ . أَمّا ٱلآنَ ، فَقَدْ تَأَكَّدْتُ مِنَ ٱلأَمْرِ . »

عِنْدَئِذٍ أَخْبَرْتُها بِقِصَّةِ حُبّي لِلُورْنا بِأَكْمَلِها .

لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُ ما كانَ يَفْعَلُهُ خالي رِيُوبن في ٱلتِّلالِ ٱلبَعيدَةِ ، وَلٰكِنَّهُ سافَرَ بِمُفْرَدِهِ بَعْدَ عَشَرَةِ أَيّامٍ تارِكًا رُوث لِلْبَقاءِ مَعَنا فَتْرَةً أُخْرى . وَكانَتْ أُمّي تُحَدِّثُني كَثيرًا عَنْ رُوث وَكُنْتُ أَخْشَى أَنْ أُطْلِعَ أُمّي عَلى حُبّي لِلُورْنا ، لِانْتِمائِها إلى آلِ دُون ٱلَّذينَ قَتَلَ واحِدٌ مِنْهُمْ والِدي .

عِنْدَما قابَلْتُ لُورْنا في ٱلمَرَّةِ ٱلأَخيرَةِ ، دَفَعَتْني لِأَنْ أَعِدَها بِأَلّا أَزورَها ثانِيَةً قَبْلَ مُرورِ شَهْرَيْنِ ، مالَمْ تَبْعَثْ هِيَ في طَلَبي . وَما إِنِ انْقَضَى ٱلشَّهْرانِ ، حَتّى أَسْرَعْتُ إلى ٱلصَّخْرَةِ أَتَسَلَّقُها . وَبَقيتُ في ٱلوادي إلى أَنْ حَلَّ ٱلمَساءُ وَظَهَرَ ٱلقَمَرُ في ٱلسَّماءِ ، وَلٰكِنَّ لُورْنا لَمْ تَأْتِ لِلِقائي .

ذَهَبْتُ إلى ٱلوادي مَرَّةً أُخْرَى ، أَحْمِلُ إِلَيْها هَدِيَّةً مِنَ ٱلسَّمَكِ وَٱلبَيْضِ . وَوَضَعْتُ ٱلهَدِيَّةَ في حُفْرَةٍ صَغيرَةٍ تَكْسوها ٱلحَشائِشُ قُرْبَ ضِفَّةِ ٱلنَّهْرِ . وَما إِنْ خَبَّأْتُها هُناكَ حَتّى رَأَيْتُ رَجُلًا قادِمًا نَحْوي مِنْ بَعيدٍ ، فَاخْتَبَأْتُ بِسُرْعَةٍ خَلْفَ إِحْدَى ٱلأَشْجارِ .

اقْتَرَبَ ٱلرَّجُلُ ، فَتَبَيَّنْتُ أَنَّهُ كارْڤَر دُون . وَكانَ صارِمَ ٱلوَجْهِ ، قاسِيَ ٱلمَلامِحِ . إِذًا فَهٰذا هُوَ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذي يُريدُ ٱلزَّواجَ بِلُورْنا !

سارَ كارْڤَر إلى ضِفَّةِ ٱلنَّهْرِ ، وَرَأَى ٱلحُفْرَةَ ٱلَّتي تَكْسوها ٱلحَشائِشُ وَما في داخِلِها مِنَ ٱلبَيْضِ وَٱلسَّمَكِ ، فَصاحَ قائِلًا : « ها ! تشارْلي ! إِذًا فَتشارْلي يَتْرُكُ هَداياهُ هُنا لِلُورْنا ! »

أَخْرَجَ آلهَدِيَّةَ مِنَ آلحُفْرةِ ، وَانْطَلَقَ بِها بَعيدًا . وَانْتَظَرْتُ أَنا طَويلًا بَعْدَ ذٰلِكَ ، وَلٰكِنَّ لُورْنا لَمْ تَحْضُرْ . لَقَدْ تَلاشَى كُلُّ ما في آلمَساءِ مِنْ سِحْرٍ وَجَمالٍ !

أَتَيْتُ مَرَّةً أُخرى ، وَتَوَجَّهتُ إلى مُخْبَإِ لُورْنا ، وَوَقَفْتُ مُنْتَظِرًا قُرْبَ آلبابِ ، وَفَجْأَةً سَمِعْتُ طَلْقَةَ بُنْدُقيَّةٍ ، وَاخْتَرَقَتِ آلرَّصاصةُ قُبَّعَتي ، وَأَطارَتْها مِنْ فَوْقِ رَأْسي إلى آلنَّهْرِ حَيْثُ جَرَفَتْها مِياهُ آلشَّلّالِ . وَأَسْرَعْتُ بِآلاخْتِباءِ خَلْفَ إحْدَى آلصُّخورِ .

خَرَجَ كارْڤَر مِنْ مَخْبَئِهِ ، وَجَرَى إلى حافَةِ آلشَّلّالِ . وَوَقَفَ عَلى بُعْدِ مِتْرٍ واحِدٍ مِنْ مَخْبَئي . وَتَلَفَّتَ حَوْلَهُ ، ثُمَّ صاحَ : « هَلْ صَرَعْتُكَ هٰذِهِ آلمَرَّةَ يا تشارْلي ؟ إنَّها ثالِثُ مَرَّةٍ أُطْلِقُ فِيها آلرَّصاصَ عَلَيْكَ ؟ »

ابْتَعَدَ وَهُوَ يُقَهْقِهُ . وَضَحِكْتُ أَنا أَيْضًا – إذْ رُبَّما تَحينُ فُرْصَتي يَوْمًا ما لِلإطاحةِ بِرَأْسِ قاتِلِ والِدي . وَقَفَلْتُ راجِعًا إلى آلمَنْزِلِ .

في ذٰلِكَ آلمَساءِ ، جاءَتْ خادِمَتُنا بيتّي ، وَأَشارَتْ لي إشاراتٍ غَريبةً . ثُمَّ آقْتَرَبَتْ مِنّي وَهَمَسَتْ في أُذُني قائِلَةً : « لُورْنا دُون ! » وَتَبِعْتُها في سُرْعةٍ إلى خارِجِ آلبَيْتِ . وَما إنِ ابْتَعَدْنا عَنْهُ بِضْعَةَ أَمْتارٍ حَتَّى قالَتْ لي : « أَحْمِلُ إلَيْكَ رِسالةً مِنْ لُورْنا دُون أَتَتْ بِها خادِمَتُها : لَنْ تَسْتَطيعَ لُورْنا أَنْ تُقابِلَكَ في آلمَساءِ ، فَآذْهَبْ إلَيْها في آلصَّباحِ . »



## الفَصْلُ السّادِسَ عَشَرَ

## السُّؤالُ آلهامُّ

صَحَوْتُ مُبَكِّرًا في آليَوْمِ آلتّالي ، قَبْلَ أَنْ تُشْرِقَ شَمْسُ أُكْتوبَرَ الَّتي كَثيرًا ما تَحْجُبُها آلسُّحُبُ في إنْجِلْترا . وَتَسَلَّقْتُ آلصَّخْرَةَ عَلى حِينَ كانَ نورُ آلفَجْرِ يَغْمُرُ آلتِّلالَ . وَكانَ آلشِّتاءُ عَلى آلأَبْوابِ ، وَقَدِ آكْتَسَتِ آلأَشْجارُ بِظِلالٍ أُرْجوانِيَّةٍ مُذَهَّبةٍ .

وَقَفْتُ أَخيرًا عَلى قِمَّةِ آلصَّخْرةِ . وَتَطَلَّعْتُ إلى آلوادي ، فَرَأَيْتُ لُورْنا قادِمَةً مِنْ بَيْتِها . وما إنْ رَأَتْني حَتَّى جَرَتْ إلَيَّ قائِلَةً : « ها قَدْ أَتَيْتَ أَخيرًا ، ياجُون ! لَمْ يَكُنْ في إمْكاني أَنْ أُنْبِئَكَ بِما حَدَثَ حَتَّى تَغْفِرَ لي عَدَمَ حُضوري لِلقائِكَ . لَقَدْ أَجْبَروني عَلى أَنْ أَبْقى حَبيسةَ آلمَنْزِلِ في آلمَساءِ . »

تَبِعْتُها إلى مَخْبَئِها داخِلَ آلصُّخورِ . وَشَعَرْتُ بِأَنَّ أَهَمَّ لَحْظةٍ في حَياتي قَدْ دَنَتْ : لَحْظةِ أَنْ تُصَرِّحَ لي لُورْنا بِحُبِّها . وَأَخَذَتْ تَتَحَدَّثُ عَنِ آلصِّعابِ الَّتي تُواجِهُها وَآلأَخْطارِ آلمُحْدِقةِ بِها ، وَلٰكِنَّني قاطَعْتُها في رِقَّةٍ قائِلًا : « لَيْسَ هٰذا ما جِئْتُ لِمَعْرِفَتِهِ . »

قالَتْ مُتَظاهِرةً بِأَنَّها لَمْ تُدْرِكْ ما أَرْمي إلَيْهِ : « إذا كُنْتَ تُريدُ أَنْ تَسْأَلَني عَنْ شَيْءٍ خاصٍّ ، فَلِماذا آلتَّرَدُّدُ ؟ »

أَسْرَعْتُ أَسْأَلُها : « لُورْنا ، هَلْ تُحِبّينَني ؟ »

أجابَتْ : « نَعَمْ ، أُحِبُّكَ ياجُون ، وَلٰكِنْ ما جَدْوى هٰذا ٱلحُبِّ ؟ إنَّ حَياتي مَحْفوفَةٌ بِٱلصِّعابِ وَٱلمَخاطِرِ ٱلَّتي تَقِفُ حائِلًا دونَ زَواجِنا . إنَّ زَواجَنا مُسْتَحيلٌ ... مُسْتَحيلٌ . »

عِنْدَما عُدْتُ إلى ٱلمَنْزِلِ ، وَجَدْتُ تُوم فاجّس هُناكَ . كانَ قَدْ حَضَرَ لِيَطْلُبَ إلى أُمّي ٱلزَّواجَ بِأُخْتي آني . وَعِنْدَئِذٍ أَطْلَعْتُ أُمّي عَلى قِصَّتي مَعَ لُورْنا .



## الفَصْلُ ٱلسَّابِعَ عَشَرَ

## مَنْزِلُ كارْفَر

فُوجِئْتُ ذاتَ يَوْمٍ بِحُضورِ ستِكِلْز إلى بَيْتِنا ، وَقادَني إلى مَكانٍ في ٱلحَقْلِ ، وَتَطَلَّعَ حَوْلَهُ في حَذَرٍ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ لا أَحَدَ بِٱلقُرْبِ مِنْهُ ثُمَّ قالَ :

« سَوْفَ أُطْلِعُكَ ٱلآنَ ياجُون عَلى سَبَبِ هٰذِهِ ٱلزِّيارَةِ ٱلمُفاجِئَةِ ، بِما أَنَّ ٱلقاضيَ جيفِريز قَدْ سَبَقَ وَأَلْمَحَ إلَيْكَ بِشَيْءٍ عَنِ ٱلأَمْرِ : هُناكَ رَجُلٌ يُدْعى دُوق مُونْمَوْث يَحْشِدُ رِجالًا لِلْقِتالِ ضِدَّ ٱلمَلِكِ ، وَلَقَدْ أَرْسَلَني ٱلقاضي لِجَمْعِ مَعْلوماتٍ بِهٰذا ٱلشَّأْنِ ، كَما أَنَّهُ مِنَ ٱلمُتَوَقَّعِ أَنْ يَصْدُرَ إلَيْكَ أَمْرٌ بِٱلقِتالِ في صَفِّ ٱلمَلِكِ . »

ظَلَّتْ لُورْنا لِعِدَّةِ أَيّامٍ تُرْسِلُ لِيَ ٱلإشارَةَ تِلْوَ ٱلأُخْرى ، ثُمَّ تَوَقَّفَتْ عَنْ ذٰلِكَ . وَتَمَلَّكَني ٱلخَوْفُ وَٱلقَلَقُ ، وَكانَ خَوْفي وَقَلَقي يَتَزايَدانِ كُلَّ يَوْمٍ . وَذَهَبْتُ إلى ٱلوادي ثَلاثَ مَرّاتٍ ، وَظَلَلْتُ أَتَرَقَّبُ حُضورَها دونَ جَدْوى .

وَتَوَغَّلْتُ ذاتَ يَوْمٍ داخِلَ ٱلوادي ، سائِرًا بِمُحاذاةِ ٱلنَّهْرِ ، إلى أَنْ أَتَيْتُ إلى مَنْزِلٍ حَجَرِيٍّ صَغيرٍ . كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ ذٰلِكَ هُوَ مَنْزِلُ كارْفَر دُونَ . وَتَوَقَّفْتُ عِنْدَ بابِ ٱلمَنْزِلِ ، وَأَنْصَتُّ جَيِّدًا ، فَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ أَحَدٍ بِٱلدّاخِلِ . ثُمَّ دُرْتُ حَوْلَ ٱلمَنْزِلِ ، وَتَفَحَّصْتُ ٱلأَبْوابَ وَٱلنَّوافِذَ بِدِقَّةٍ . وَكانَ مِنْ حُسْنِ ٱلحَظِّ أَنْ فَعَلْتُ ذٰلِكَ – لِسَبَبٍ سَوْفَ أَذْكُرُهُ فيما بَعْدُ .

وَعَزَمْتُ عَلى أَنْ أَتَوَغَّلَ في ٱلوادي مَرَّةً أُخْرى بادِئًا مِنْ أَوَّلِهِ ، لِأَعْرِفَ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ حَبيبَتي لُورْنا .

## الفصلُ الثّامنَ عشرَ

## عَبْرَ بَوَّابةِ آلِ دُون

دُرْتُ حَوْلَ ٱلتِّلالِ ٱلواقِعةِ في ٱلجَنوبِ ، لِأَتَمَكَّنَ مِنْ دُخولِ وادي آلِ دُون عَبْرَ بَوَّابَتِهِ . كانَتِ ٱلمَسيرةُ طَويلةً ، وَأَوْشَكَ ٱلظَّلامُ عَلى ٱلهُبوطِ عِنْدَما كُنْتُ أَقْتَرِبُ مِنَ ٱلبَوَّابَةِ . وَما إِنْ بَلَغْتُها ، وَوَقَفْتُ مُتَطَلِّعًا إِلَيْها حَتَّى بَزَغَ ٱلقَمَرُ وَغَمَرَ بِضَوْئِهِ ٱلمَكانَ . وَخَطَوْتُ بِسُرْعةٍ إِلى ٱلخَلْفِ ، لِأَتَوارى في دائِرةِ ٱلظِّلِّ .

رَأَيْتُ شَجَرةً ضَخْمةً مُعَلَّقةً فَوْقَ ٱلبَوَّابةِ ، يَسْهُلُ إِسْقاطُها عَلى رَأْسِ أَيِّ مُقْتَحِمٍ يُحاوِلُ اجْتِيازَ ٱلبَوَّابةِ إِلى ٱلدَّاخِلِ . وَكانَ في ٱلبَوَّابةِ ثَلاثةُ مَداخِلَ لا يَعْلَمُ سِوى آلِ دُون أَيًّا مِنْها ٱلمَدْخَلَ ٱلصَّحيحَ . وَكانوا يُغَيِّرونَ هٰذا ٱلمَدْخَلَ بَيْنَ ٱلحينِ وَٱلآخَرِ حَتَّى لا يَعْلَمَ أَعْداؤُهُمْ أَيَّ مَدْخَلٍ يَسْلُكونَ . وَمِلْتُ إِلى ٱلظَّنِّ أَنَّ ٱلمَدْخَلَ ٱلأَوْسَطَ هُوَ ٱلمَدْخَلُ ٱلصَّحيحُ في وَقْتِ ٱلسِّلْمِ فَسَلَكْتُهُ . وَاكْتَنَفَني ظَلامٌ دامِسٌ . وَسَقَطْتُ فَوْقَ شَيْءٍ صُلْبٍ طَويلٍ ، وَتَحَسَّسْتُ ذٰلِكَ ٱلشَّيْءَ فَتَبَيَّنْتُ أَنَّهُ مِدْفَعٌ ضَخْمٌ ، فَأَيْقَنْتُ أَنَّني أَسيرُ في ٱلطَّريقِ ٱلصَّحيحِ .

عِنْدَما بَلَغْتُ ٱلمُنْعَطَفَ ٱلتَّالي مِنَ ٱلطَّريقِ ، أَبْصَرْتُ اثْنَيْنِ مِنْ آلِ دُون يَحْرُسانِ ٱلمَكانَ وَبِيَدِ كُلٍّ مِنْهُما بُنْدُقِيَّةٌ . وَكانَ ثَمَّةَ مِصْباحٌ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَكانا مُنْهَمِكَيْنِ في لُعْبةٍ مِنْ أَلْعابِ ٱلحَظِّ . وَكانَ تشارْلي دُون هُوَ أَحَدَ ٱلرَّجُلَيْنِ ، أَمَّا ٱلثَّاني فَٱسْمُهُ فيليبس — وَلَقَدْ عَرَفْتُ ذٰلِكَ عِنْدَما سَمِعْتُ كُلًّا مِنْهُما يُنادي ٱلآخَرَ بِٱسْمِهِ .



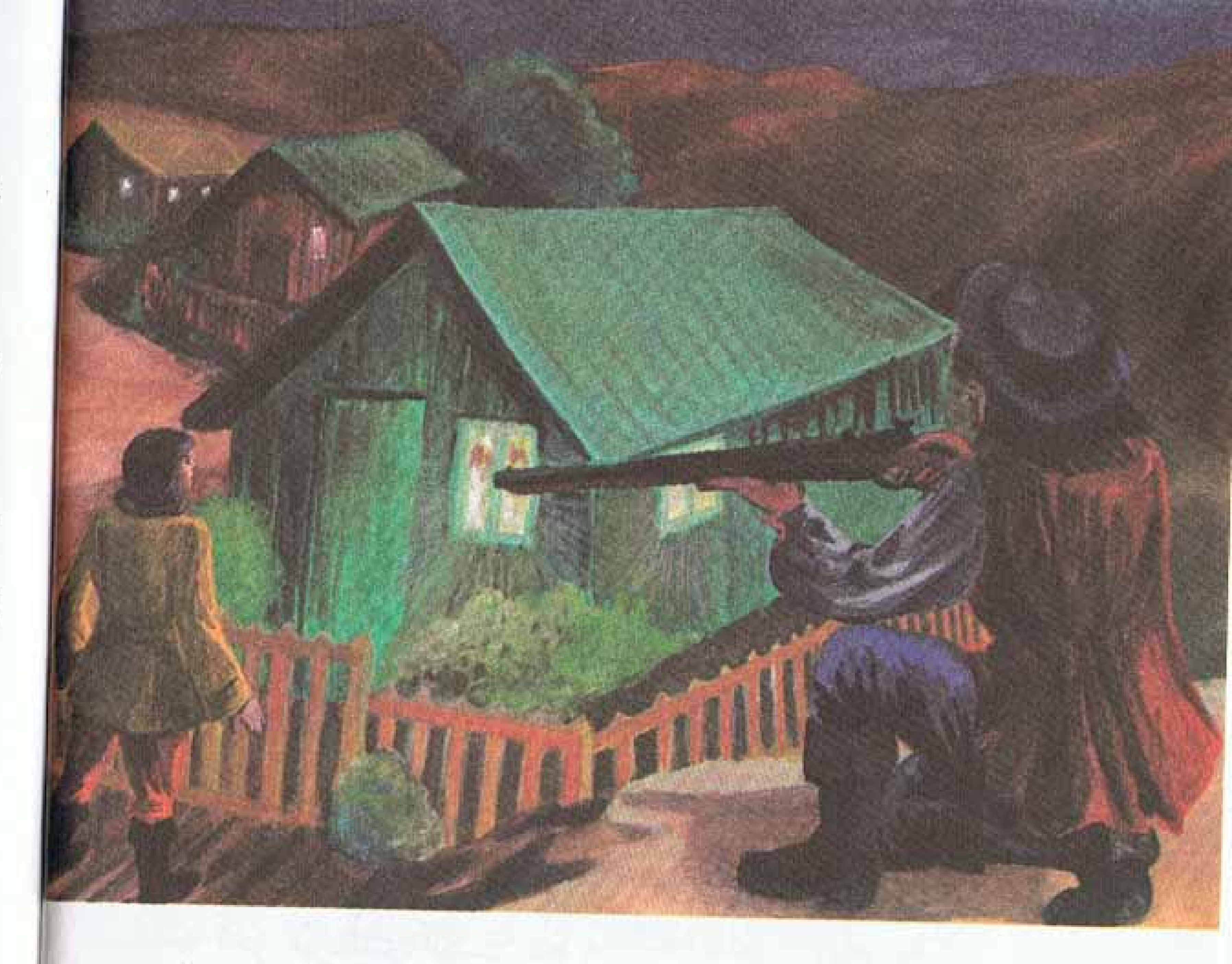
وَسَرْعانَ ما دَخَلا في شِجارٍ عَلى ٱللَّعِبِ . وَقَذَفَ تشارْلي بِكُوبِهِ في وَجْهِ فيليبس ، فَسَقَطَ ٱلكُوبُ فَوْقَ ٱلمِصْباحِ . وهُنا صاحَ فيليبس قائِلًا : « لَقَدْ كُسِرَ ٱلمِصْباحُ ! اذْهَبْ وَأَحْضِرْ مِصْباحًا مِنْ مَنْزِلِ كارْفَر . »

نَهَضَ تشارْلي وَهُوَ يَشْدو بِأُغْنِيَّةٍ قَصيرةٍ غَريبةٍ . وَمَرَّ بِٱلقُرْبِ مِنِّي فَلامَسَ مِعْطَفُهُ يَدي وَتَبِعْتُهُ وَهُوَ يَنْعَطِفُ ذاتَ ٱليَمينِ وَذاتَ ٱلشِّمالِ ، إِلى أَنْ خَرَجْتُ في نِهايةِ ٱلأَمْرِ إِلى أَرْضٍ مَكْشوفةٍ ، وَرَأَيْتُ ٱلسَّماءَ ٱلصَّافيةَ يَتَوَسَّطُها ٱلبَدْرُ ٱلمُنيرُ ، كَما رَأَيْتُ أَمامي مَنازِلَ آلِ دُون كُلَّها .

واصَلَ تشارْلي ٱلسَّيْرَ ، وَأَنا أَتْبَعُهُ بَيْنَ ٱلظِّلالِ . وَمَرَرْتُ بِمَنْزِلِ سِير إِنْسُور . وَتَوَقَّفَ تشارْلي عِنْدَ مَنْزِلِ كارْفَر . وَفُتِحَ ٱلبابُ ، وَأَطَلَّ مِنْهُ كارْفَر قائِلًا : « ماذا تُريدُ في هٰذِهِ ٱلسَّاعةِ مِنَ ٱللَّيْلِ ؟ » فَأَجابَ تشارْلي : « أُريدُ مِصْباحًا آخَرَ غَيْرَ ٱلَّذي ٱنْكَسَرَ . »

أَمَّا أَنا فَقَدْ واصَلْتُ سَيْري إِلى أَنْ بَلَغْتُ مَنْزِلَ لُورْنا دُون ، وَكانَ مَنْزِلًا مِنْ طابَقٍ واحِدٍ . وَلَمْ أَجْرُؤْ عَلى ٱلمُناداةِ بِصَوْتٍ عالٍ خَشْيَةَ أَنْ أَجْذِبَ ٱنْتِباهَ ٱلحارِسِ ٱلَّذي كان يَقِفُ عَلى صَخْرةٍ عالِيةٍ ، كاشِفًا مِنْها ٱلواديَ بِرُمَّتِهِ . وَمالَبِثَ هٰذا ٱلحارِسُ أَنِ اتَّجَهَ نَحْوي مُتَسائِلًا : « مَنْ أَنْتَ ؟ أَجِبْني ! واحِد — ٱثْنان — ثَلاثة ، سَوْفَ أُطْلِقُ ٱلرَّصاصَ . »

كانَتْ بُنْدُقِيَّتُهُ مُصَوَّبةً إِلَيَّ . وَشَرَعْتُ أُغَنِّي تِلْكَ ٱلأُغْنِيَّةَ ٱلقَصيرةَ ٱلغَريبةَ ٱلَّتي كانَ تشارْلي يُغَنِّيها مُنْذُ لَحَظاتٍ ... وَلَمْ أَدْرِ لِمَ فَعَلْتُ ذٰلِكَ !! وَلٰكِنْ ما إِنْ سَمِعَ ٱلرَّجُلُ ٱلأُغْنِيَّةَ حَتَّى بادَرَني قائِلًا : « كُلُّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ . »



ثُمَّ سارَ عائِدًا إلى مَوْقِعِهِ عَلى ٱلصَّخْرةِ . وَقَدْ عَرَفْتُ بَعدئِذٍ أَنَّ هٰذِهِ ٱلأُغْنِيَّةَ هِيَ أُغْنِيَّةُ كارْفَر دُون ٱلسرِّيَّةُ ٱلَّتي كانَ ٱلحُرَّاسُ يَعْرِفونَهُ بِها ، وَهٰكَذا ظَنَّ ٱلحارِسُ أَنَّني كارْفَر دُون .

فَتَحَتْ لُورْنا ٱلنَّافذَةَ .

بَعْدَ أَنْ تَبادَلْنا ٱلتَّحِيَّةَ ، أَخْبَرَتْني بِما حَدَثَ ، وَبِٱلسَّبَبِ ٱلَّذي مِنْ أَجْلِهِ كَفَّتْ عَنْ إِرْسالِ ٱلإِشاراتِ إِلَيَّ فَقالَتْ : « إِنَّ جَدِّي سِيْر إِنْسُور ، مَريضٌ جِدًّا ، وَأَخْشى أَنْ تَكونَ حَياتُهُ قَدِ اقْتَرَبَتْ مِنْ نِهايَتِها ! إِنَّ ٱلمُسْتَشارَ وَكارْفَر هُما سَيِّدا ٱلوادي ، وَأَنا لا أَجْرُؤُ عَلى مُغادَرَةِ ٱلبَيْتِ . وَهُما لا يَسْمَحانِ ،



حَتَّى لِخادِمَتي جُويني ، بِٱلخُروجِ مِنْهُ . »

قُلْتُ عَلى ٱلفَوْرِ : « وَلٰكِنْ هَبي أَنَّ خَطَرًا ما قَدْ أَحْدَقَ بِكِ ، فَكَيْفَ أَعْرِفُ ذٰلِكَ ؟ يَجِبُ أَنْ تُعْطِيني إِشارَةً . »

فَكَّرَتْ لُورْنا بُرْهةً ، ثُمَّ قالَتْ : « هَلْ تَرى ٱلشَّجَرةَ ٱلعالِيَةَ ٱلَّتي بَنَتْ فيها ٱلطُّيورُ سَبْعَةَ أَعْشاشٍ ؟ يُمْكِنُكَ أَنْ تَراها بِوُضوحٍ وَأَنْتَ خارِجَ ٱلوادي . وَتَسْتَطيعُ جُويني أَنْ تَتَسَلَّقَ هٰذِهِ ٱلشَّجَرةَ ، وَلَسَوْفَ أَدَعُها تُزيلُ واحِدًا مِنْ هٰذِهِ ٱلأَعْشاشِ إِذا ما تَعَرَّضْتُ لِلْخَطَرِ ؛ فَإِذا رَأَيْتَ عَلى ٱلشَّجَرةِ سِتَّةَ أَعْشاشٍ فَقَطْ ، فَاعْلَمْ أَنَّني في خَطَرٍ ، أَمَّا إِذا رَأَيْتَ خَمْسَةً فَحَسْبُ فَاعْلَمْ أَنَّني قَدْ لَقِيتُ مَصْرَعي عَلى يَدِ كارْفَر دُون . »

وَافْتَرَقْنا بَعْدَ وَداعٍ حارٍّ ، وَأَخَذْتُ طَريقي إلى ٱلمَنْزِلِ .

## الفصلُ التّاسعَ عشَرَ

## مُؤامرةٌ للاغتيالِ

كانَ جيريمي ستِكِلز ما زالَ مُقيمًا مَعَنا . وَكانَ مَسْلَكُهُ يَتَّسِمُ بِالغَرابةِ . فَقَدْ كانَ يَخْرُجُ كُلَّ صَباحٍ ، وَيَعودُ في ساعةٍ مُتأخِّرةٍ مِنَ اللَّيْلِ ، دونَ أنْ يَعْرِفَ أحَدٌ مِنّا شَيْئًا عَمّا كانَ يَفْعَلُهُ .

حضَرَ تُوم فاجَس إلى مَنْزِلِنا ذاتَ يَوْمٍ ، وَتَحدَّثَ مَعَ أُخْتي آني . وَخَرَجْتُ مِنَ البَيْتِ بِمُفْرَدي يَوْمَئِذٍ ، وَأنا أُفكِّرُ في حُبّي لِلورْنا ، وَفي الحُبِّ الَّذي يَرْبُطُ بَيْنَ تُوم وَآني ؛ كَيْفَ أنَّ حُبَّهُما يَسيرُ في سُهولةٍ وَيُسْرٍ ، عَلى حِينِ يَتَعَثَّرُ حُبُّنا .

وَذَهَبْتُ إلى الغابةِ الصَّغيرةِ القَريبةِ مِنَ المَنْزِلِ ، وَاقْتَطَعْتُ بِضْعَةَ عيدانٍ مِنَ الخَشَبِ لِتُسْتَخْدَمَ وَقودًا ، ثُمَّ اتَّجَهْتُ إلى مَجْموعةٍ مِنَ الشُّجَيْراتِ كانَتْ تَنْمو عَلى ضِفَّةِ نُهَيْرٍ قَريبٍ مِنَ الغابةِ ، لِأَسْتَكْمِلَ قَطْعَ العيدانِ اللّازِمةِ .

بَيْنَما كُنْتُ مُنْشَغِلًا في ذٰلِكَ ، رَأَيْتُ ثَلاثةَ رِجالٍ قادِمينَ مِنَ الضِّفَّةِ المُواجِهةِ . كانوا يَسيرونَ في صَمْتٍ وَهُدوءٍ ، كَأَنَّهُمْ يَقْتَفونَ أثَرَ عَدُوٍّ لَهُمْ ... وَكانَ هٰؤُلاءِ الرِّجالُ مِنْ آلِ دُون !

اخْتَبَأْتُ بَيْنَ الحَشائِشِ . وَتَوَقَّفَ الرِّجالُ ، وَتَطَلَّعَ أحَدُهُمْ إلى الشُّجَيْراتِ قائِلًا : « بَعْضُهُمْ كانَ يَقْطَعُ عيدانَ الشَّجَرِ . » وَكانَ المُتَكَلِّمُ هُوَ كارْفَر دُون وَإلى جانِبِهِ وَقَفَ تشارْلي دُون وَكانَ يُرافِقُهُما لُورد وِيشِهالس .

قالَ تشارْلي : « لا أحَدَ هُنا الآنَ .. يُمْكِنُ أنْ نَخْتَبِئَ في هٰذا المَكانِ ، فَهُوَ



قَريبٌ مِنَ الطَّريقِ الَّذي يَسْلُكُهُ جيريمي ستِكِلز عَصْرَ كُلِّ يَوْمٍ . » وَأضافَ لُورد وِيشِهالس : « سَنَنْتَظِرُ هُنا لِكَيْ نَراهُ وَهُوَ يَمُرُّ عَلى الطَّريقِ ... وَلَسَوْفَ تَكونُ رِحْلَتُهُ هٰذِهِ آخِرَ رِحْلةٍ يَقومُ بِها في حَياتِهِ . »

لَقَدْ أتَوْا لِقَتْلِ جيريمي ستِكِلز ! يَجِبُ أنْ أُسْرِعَ إذًا لِتَحْذيرِهِ وَإنْقاذِ حَياتِهِ . وَتَسَلَّلْتُ في هُدوءٍ إلى خارِجِ الغابةِ ، ثُمَّ شَرَعْتُ في الجَرْيِ .

كُنْتُ أعْرِفُ المَكانَ الَّذي يَذْهَبُ إلَيْهِ جيريمي عَصْرَ كُلِّ يَوْمٍ . وَعَدَوْتُ بِأقْصى ما أسْتَطيعُ مِنْ سُرْعةٍ ، وَالخَوْفُ يَتَمَلَّكُني مِنْ أنْ أسْمَعَ في أيَّةِ لَحْظةٍ صَدى طَلَقاتِ رَصاصٍ تُنْبِئُني بِأنَّ جيريمي قَدْ لَقِيَ مَصْرَعَهُ . وَوَصَلْتُ أخيرًا إلى التَّلِّ الَّذي أسْتَطيعُ أنْ أرْصُدَ مِنْهُ وادي آلِ دُون . وَفَجْأةً شَعَرْتُ بِفُوَّهةِ بُنْدُقيَّةٍ تَضْغَطُ عَلى جَنْبي .

الْتَفَتُّ وَرائي فَرَأَيْتُ جيريمي ، وَصاحَ عِنْدَ رُؤْيَتي : « آهٍ ! أهُوَ أنْتَ !! » ثُمَّ أنْزَلَ بُنْدُقيَّتَهُ مُتَسائِلًا : « ما الَّذي جاءَ بِكَ الآنَ إلى هُنا ؟ »

أجَبْتُ : « جِئْتُ لِكَيْ أُنْقِذَ حَياتَكَ . هُناكَ ثَلاثةُ رِجالٍ مِنْ آلِ دُون يَنْتَظِرونَ قُرْبَ الغابةِ . إنَّهُمْ يَتَرَبَّصونَ لِقَتْلِكَ ! »

قالَ جيريمي : « دَعْهُمْ يَنْتَظِرونَ ، فَلَنْ أسْتَطيعَ الآنَ إحْضارَ جُنودي لِلْقَبْضِ عَلَيْهِمْ ، كَما لَنْ نَقْوى – أنا وَأنْتَ – بِمُفْرَدِنا عَلى مُواجَهَتِهِمْ . دَعْهُمْ إذًا يَنْتَظِرونَ . وَلٰكِنْ هٰذا يَعْني أنَّنا سَوْفَ نُضْطَرُّ لِمُهاجَمةِ الوادي ، وَمُحارَبةِ آلِ دُون في عُقْرِ دارِهِمْ ، أسْرَعَ مِمّا كُنْتُ أتَصَوَّرُ . »

## الفَصْلُ ٱلعِشْرونَ

## خُطَّةُ ٱلمَعْرَكةِ

في ٱليَوْمِ ٱلتّالي ، قادَني جيريمي إلى خارِجِ ٱلبَيْتِ ، وَأَخْبَرَني بِسَبَبِ قُدومِهِ إِلَيْنا ، وَبِٱلمُهِمَّةِ ٱلَّتي عُهِدَ بِها إِلَيْهِ في ٱلمِنْطَقَةِ .

كانَ هُناكَ فَريقٌ مِنَ ٱلنّاسِ غاضِبٌ عَلى ٱلمَلِكِ ، وَيَتَأَلَّفُ في غالِبِيَّتِهِ مِنَ ٱلحَمْقى وَصِغارِ ٱلسِّنِّ . غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ ٱللّورْداتِ ٱلكِبارِ كانوا يَتَوَلَّونَ قِيادَةَ هٰذا ٱلفَريقِ ، يُشارِكُهُمْ في ذٰلِكَ آلُ دُون وَلُورْد وِيشِيهالس . وَلَقَدْ أُرْسِلَ جيريمي سْتِكِلْز إلى ٱلإقْليمِ لِمَعْرِفَةِ عَدَدِ وَأَسْماءِ هٰؤُلاءِ ٱلنّاسِ ٱلَّذينَ يَتَهَيَّأُونَ لِلْقِتالِ ضِدَّ ٱلمَلِكِ . كَما أُمِرَ بِوَضْعِ خُطَّةٍ تُمَكِّنُ جُنودَ ٱلمَلِكِ مِنِ اقْتِحامِ وادي آلِ دُون وَقَتْلِهِمْ جَميعًا ، أَوْ طَرْدِهِمْ خارِجَ ٱلوادي عَلى ٱلأَقَلِّ .

عِنْدَئِذٍ صِحْتُ في اسْتِنْكارٍ ، وَأَنا أُفَكِّرُ في لُورْنا : « تَقْتُلونَ آلَ دُون جَميعًا ! هٰذا شَيْءٌ فَظيعٌ ! » فَقالَ جيريمي : « أَلَيْسَ ذٰلِكَ أَفْضَلَ مِنْ تَرْكِهِمْ يَسْرِقونَ أَبْقارَكُمْ وَيَسْلُبونَ نُقودَكُمْ ؟ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّكَ سَتُسَرُّ بِأَنْ يُقْتَلَ آلُ دُون جَميعًا ، وَلٰكِنَّني أَراكَ مُبْتَئِسًا لِذٰلِكَ !! »

أَجَبْتُ عَلى ٱلفَوْرِ : « لَنْ أَتَدَخَّلَ في هٰذا ٱلأَمْرِ ، وَلَنْ أُعاوِنَ في ذٰلِكَ ، وَلَنْ أُقاتِلَ في صَفِّكُمْ . »

صاحَ جيريمي قائِلًا : « أَ تَرْفُضُ مُحارَبَةَ ٱلعِصابَةِ ٱلَّتي قَتَلَتْ أَباكَ ؟ إِنَّ



ٱلخالَ رِيوبِن في صَفِّنا ، وَقَدْ وَعَدَ بِأَنْ يَقودَ جُنودَنا في اقْتِحامِ وادي آلِ دُون . »

غَيْرَ أَنَّ خَوْفي عَلى لُورْنا كانَ شَديدًا . كُنْتُ أَخْشى ما قَدْ يَحْدُثُ لَها إذا ما وَقَعَتْ في قَبْضَةِ ٱلجُنودِ .

## الفَصلُ ٱلحادي وَٱلعِشْرونَ

## وَفاةُ سِيْر إنْسُور

في مُنتصَفِ شَهْرِ ديسَمْبِر اشْتَدَّتْ بُرودةُ ٱلجَوِّ ، وَتَساقَطَ ٱلثَّلْجُ بِغَزارةٍ . وَخَرَجْتُ لِأَنْظُرَ إلى أَعْشاشِ ٱلطَّيْرِ ٱلَّتي جَعَلَتْها لُورْنا إشارةً لي . وَتَطَلَّعْتُ إلى تِلْكَ ٱلأَعْشاشِ ، وَدَقَّقْتُ ٱلنَّظَرَ فيها ، فَلَمْ أَرَ سِوى سِتَّةٍ فَقَطْ ! لَقَدْ أَمَرَتْ لُورْنا خادِمَتَها بِنَزْعِ واحِدٍ مِنْها . إذًا فَهِيَ في خَطَرٍ ، وَفي حاجةٍ إلَيَّ !

كانَ كَلْبي يَقِفُ إلى جانِبي ، فَعَلَّقْتُ في رَقَبَتِهِ رِسالةً قَصيرةً إلى أُخْتي آني ، وَأَمَرْتُهُ بِٱلتَّوَجُّهِ إلى ٱلمَنْزِلِ . وَسَرْعانَ ما عادَ ٱلكَلْبُ يَحْمِلُ سَلَّةً مَليئةً بِٱلطَّعامِ . وَما هِيَ إلَّا بُرْهةٌ وَجيزةٌ حَتَّى بَدَأَ في ٱلنُّباحِ . وَتَلَفَّتُّ فَرَأَيْتُ شَخْصًا يَسيرُ فَوْقَ ٱلثَّلْجِ مُتَّجِهًا ناحِيَتي . وَكانَ ٱلقادِمُ جُويني ، خادِمةَ لُورْنا .

وَبادَرَتْني قائِلةً في لَهْفةٍ : « تَعالَ مَعي ٱلآنَ ، فَسِيرُ إنْسُور يُحْتَضَرُ ، وَهُوَ يُريدُ أَنْ يَراكَ . »

سَأَلْتُ بِدَهْشةٍ : « يُريدُ أَنْ يَراني ! »

أَجابَتْ : « أَجَلْ ، يُريدُ أَنْ يَراكَ وَيَتَعَرَّفَ إلَيْكَ ، قَبْلَ أَنْ يَموتَ . »

أَرْسَلْتُ ٱلكَلْبَ إلى ٱلبَيْتِ ، وَتَبِعْتُ جُويني .

تَسَلَّلْنا إلى ٱلوادي عَبْرَ طَريقٍ سِرِّيٍّ تَحْجُبُهُ شُجَيْراتٌ كَثيفةٌ مُلْتَفَّةٌ . وَلَمَّا اقْتَرَبْنا مِنْ مَنْزِلِ ٱلزَّعيمِ ، مَرَرْنا بِحارِسَيْنِ مِنْ آلِ دُون وَتَطَلَّعَ ٱلحارِسانِ إلَيَّ



وَلٰكِنْ ما إنْ أَسَرَّتْ جُويني إلَيْهِما بِبِضْعِ كَلِماتٍ حَتَّى سَمَحا لي بِٱلمُرورِ . وَأَخيرًا بَلَغْنا مَنْزِلَ سِيْر إنْسُور وَفَتَحْتُ ٱلبابَ ، وَدَخَلْتُ . كانَتْ لُورْنا في اسْتِقْبالي .

قالَتْ : « لا تَهْتَمَّ بِما قَدْ يَقولُهُ جَدِّي . لا تُجِبْ عَمَّا يَسْأَلُ ، وَلا تَخْشَ مِنْهُ . » وَقادَتْني إلى ٱلحُجْرةِ ٱلأُخْرى . وَكانَ سِيْر إنْسُور جالِسًا عَلى كُرْسِيِّهِ ، وَقَدْ أَصابَ جَسَدَهُ ٱلوَهْنُ ٱلشَّديدُ ، وَكانَ بَريقُ ٱلحَياةِ يَلْمَعُ في عَيْنَيْهِ ٱللَّتَيْنِ ثَبَّتَهُما عَلَيَّ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ سَأَلَني : « آهٍ ! هَلْ أَنْتَ جُون رِد ؟ »

أَجَبْتُ : « أَجَلْ ، أَنا جُون رِد . أَرْجو أَنْ تَكونَ صِحَّتُكَ في تَحَسُّنٍ يا سَيِّدي . »

صَمَتَ بُرْهةً وَجيزةً ، ثُمَّ سَأَلَني : « هَلْ تَعْرِفُ أَنَّ لُورْنا دُون سَليلةُ واحِدةٍ مِنْ أَنْبَلِ وَأَعْرَقِ ٱلعائِلاتِ في إنْجِلْترا ؟ وَأَنْتَ ، أَيُّها ٱلفَلَّاحُ ، تُريدُ أَنْ تَتَزَوَّجَها ؟! »

رَدَدْتُ في ٱلحالِ : « لا أَعْرِفُ أَنَّها سَليلةُ عائِلةٍ عَريقةٍ ، وَلٰكِنَّني أَعْرِفُ أَنَّ آلَ رِد فَلَّاحونَ طَيِّبونَ ، مُنْذُ مِئاتِ ٱلسِّنينِ ، وَقَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ آلُ دُون لُصوصًا وَسَفَّاحينَ . »

قالَ سِيْر إنْسُور : « هَلْ تَعِدُني بِأَلَّا تَرى لُورْنا مَرَّةً أُخْرى ؟ وَأَلَّا تَتَحَدَّثَ مَعَها مُطْلَقًا بَعْدَ ٱلآنَ ؟ نادِها إذًا . »

خَرَجْتُ وَعُدْتُ بِلُورْنا ، وَدَخَلْنا ٱلحُجْرةَ مُتَشابِكَي ٱليَدَيْنِ . وَهُنا صاحَ

ٱلعجوزُ وَهُوَ يَنْظُرُ إلَيْنا : « آهٍ ، أَيُّها ٱلأَحْمَقانِ ! »

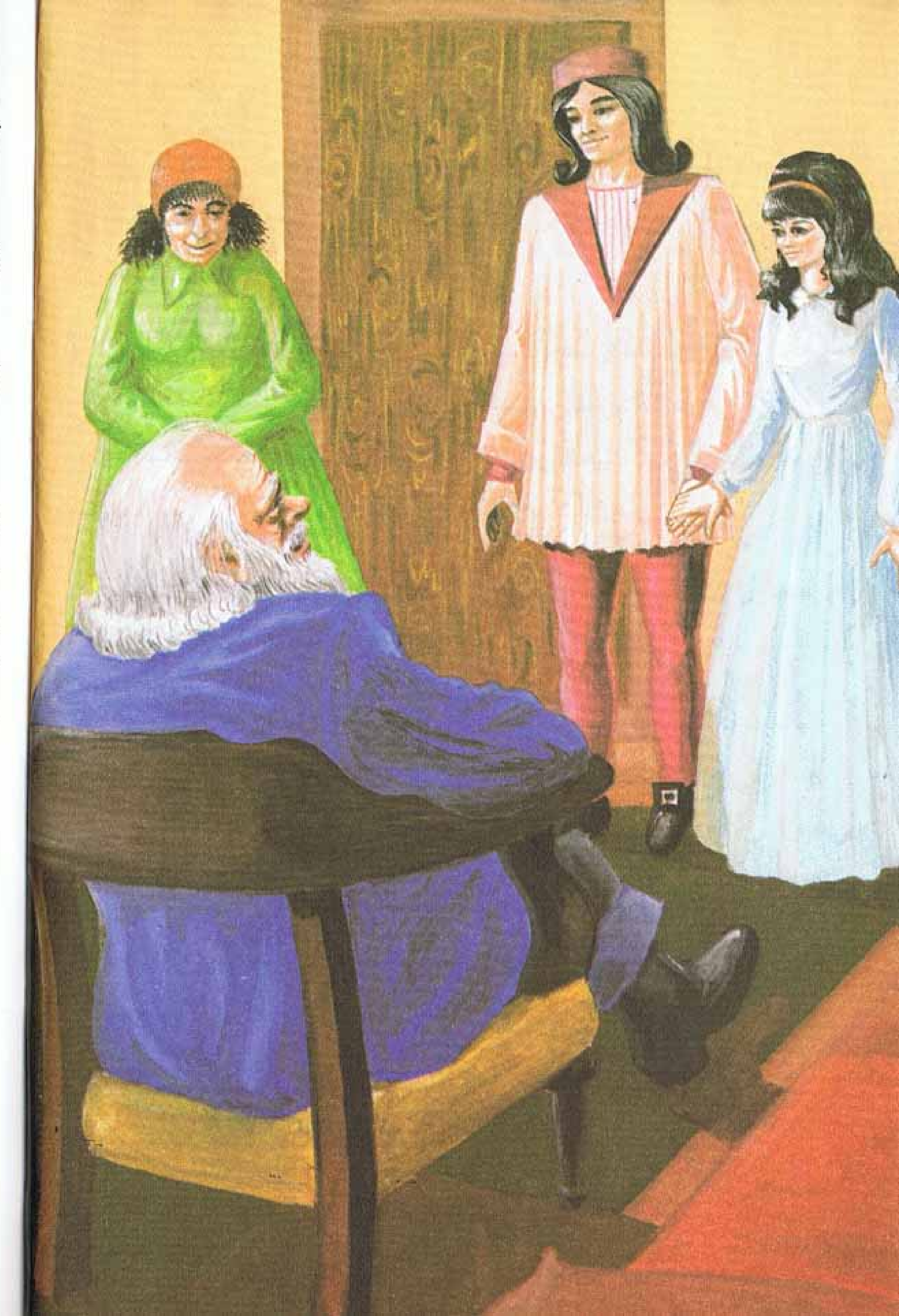
أَجَبْتُ قائِلًا : « نَحْنُ سُعداءُ تَمامًا بِهٰذِهِ ٱلحَماقةِ الَّتي تَرْبُطُنا مَعًا ، وَسَنَظَلُّ سُعَداءَ بِها عَلى ٱلدَّوامِ . »

قالَ ٱلزَّعيمُ : « لِتَدُمْ عَلَيْكُما نِعْمةُ هٰذِهِ ٱلحَماقةِ حَتَّى آخِرِ ٱلعُمْرِ ، فَهِيَ أَفْضَلُ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ أَتَمَنَّاهُ لَكُما . »

أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ ، وَأَخَذَ يَتَحَسَّسُ ٱلفِراشَ بِيَدَيْهِ كَمَنْ يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ وَدَسَسْتُ يَدي داخِلَ ٱلفِراشِ لِأُعاوِنَهُ في ٱلبَحْثِ . وَسُرْعانَ ما وَقَعَتْ يَدي عَلى شَيْءٍ صُلْبٍ مَلْفوفٍ ، فَناوَلْتُهُ إيَّاهُ . وَتَفَرَّسَ ٱلجَدُّ بُرْهةً في ذٰلِكَ ٱلشَّيْءِ ثُمَّ قَدَّمَهُ لِلُورْنا الَّتي صاحَتْ بِدَهْشةٍ : « يا إلٰهي هٰذا هُوَ عِقْدي ٱلزُّجاجيُّ ٱلبَديعُ ! لَقَدِ احْتَفَظَ لي بِهِ ٱلجَدُّ ٱلعزيزُ حَتَّى لا يَعْبَثَ بِهِ ٱلأَطْفالُ ! وَهٰذا أَيْضًا خاتَمي ٱلقَديمُ ٱلثَّمينُ ! »

قَدَّمَتْ لِيَ ٱلعِقْدَ وَٱلخاتَمَ قائِلةً : « احْتَفِظْ لي بِٱلعِقْدِ ، فَسَيَكونُ في أَمانٍ أَكْثَرَ مَعَكَ . أَمَّا ٱلخاتَمُ فَضَعْهُ في إصْبَعِكَ . »





## الفصلُ الثّاني وَالعِشْرونَ

## طَعامٌ لِلْجَوْعى

اشْتَدَّ تَساقُطُ الثَّلْجِ ، وَسَدَّ مَجْرى النَّهْرِ ، وَمَلأَ الطُّرُقَ ، وَارْتَفَعَ حَتّى بَلَغَ نَوافِذَ المَنازِلِ ، فَاضْطُرِرْنا إلى حَفْرِ دُروبٍ لَنا في الثَّلْجِ حَتّى نَتَمَكَّنَ مِنَ السَّيْرِ خارِجَ البُيوتِ . وَكادَتْ مَواشينا تَهْلِكُ مِنْ كُتَلِ الثَّلْجِ المُتَراصَّةِ في الحُقولِ ، وَكانَ عَلَيْنا أَنْ نُسْرِعَ لإنْقاذِها .

كانَ السَّيْرُ عَلى الثَّلْجِ الهَشِّ عَسيرًا جِدًّا ، وَلٰكِنَّ آني – الَّتي كانَتْ مولَعَةً بِقِراءَةِ الكُتُبِ – أَخْبَرَتْني أَنَّ سُكّانَ البِلادِ البارِدَةِ يَصْنَعونَ لأَنْفُسِهِمْ ما يُسَمّى بِقَباقيبِ الثَّلْجِ ، لِيَتَمَكَّنوا مِنَ السَّيْرِ بِها عَلى الثَّلْجِ الهَشِّ دونَ أَنْ يَغوصوا فيهِ . وَصَنَعْتُ لِنَفْسي قَبْقابَ ثَلْجٍ ، وَوَجَدْتُ بادِئَ الأَمْرِ أَنَّ السَّيْرَ بِهِ شاقٌّ لِلْغايَةِ . وَلٰكِنْ لَمْ أَلْبَثْ أَنْ تَمَرَّنْتُ عَلى المَشْيِ بِهِ . ثُمَّ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَجْرِيَ بِهِ فَوْقَ الثَّلْجِ بَعْدَ ذٰلِكَ .

صَعِدْتُ إلى قِمَّةِ التَّلِّ المَعْروفِ ، وَنَظَرْتُ إلى وادي آلِ دُون ، فَرَأَيْتُ الثَّلْجَ يُغَطّي كُلَّ شَيْءٍ . عِنْدَئِذٍ أَخَذْتُ أُفَكِّرُ في لُورْنا وَفي أَنَّها قَدْ تَكونُ حَبيسَةَ الدّارِ ، تُقاسي مِنَ الوَحْدَةِ وَالبَرْدِ .

وَعَزَمْتُ عَلى زِيارَتِها في دارِها ، خاصَّةً إنَّني كُنْتُ في مَأْمَنٍ حينَئِذٍ مِنْ آلِ دُون الَّذينَ لَنْ يُغادِروا مَنازِلَهُمْ في مِثْلِ ذٰلِكَ الجَوِّ القارِسِ . وَشَرَعْتُ في اخْتِراقِ الثُّلوجِ مُتَّجِهًا إلى بَيْتِها .



بَلَغْتُ بابَها ، وَنادَيْتُ .

تَساءَلَتْ جُويني : « مَنْ بِالبابِ ؟ »

أَجَبْتُ : « جُون رِد ! » فَقالَتْ جُويني : « ضَعْ إصْبَعَكَ في ثَقْبِ البابِ وَأَرِني الخاتَمَ ، وَإذا كُنْتَ أَحَدًا غَيْرَ جُون رِد فَسَوْفَ أَقْطَعُ إصْبَعَكَ . »

ضَحِكْتُ ، وَأَرَيْتُها إصْبَعي ، فَفَتَحَتْ لِيَ البابَ . وَسَأَلْتُها وَأَنا أَسيرُ إلى الدّاخِلِ : « ما مَعْنى هٰذا ياجُويني ؟ »

أَجابَتْ عَلى الفَوْرِ : « مَعْناهُ أَنَّنا حَبيسَتا الدّارِ ، وَأَنَّ بَطْنَيْنا خاوِيان تَمامًا ... نَحْنُ في حاجَةٍ ماسَّةٍ إلى طَعامٍ ، فَالجوعُ يَقْرُصُني حَتّى إنَّني أُريدُ الآنَ أَنْ آكُلَكَ ! »

أَخْرَجْتُ قِطْعَةً كَبيرَةً مِنَ الخُبْزِ وَناوَلْتُها إيّاها ، فَالْتَهَمَتْها مِثْلَ حَيَوانٍ نَهِمٍ .

تَوَجَّهْتُ إلى لُورْنا ، وَكانَتْ مُسْتَلْقِيَةً فَوْقَ مَقْعَدِها مُغْمَضَةَ العَيْنَيْنِ . وَقَدَّمْتُ لَها خُبْزًا وَماءً ، فَفَتَحَتْ عَيْنَيْها وَبَدَأَتْ تَأْكُلُ . وَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ قالَتْ : « لَمْ أَكُنْ أَتَوَقَّعُ أَنْ أَراكَ ثانِيَةً كُنْتُ أَتَرَقَّبُ المَوْتَ في كُلِّ لَحْظَةٍ ، وَكُنْتُ أُرَجِّحُ أَنَّني سَوْفَ أَموتُ دونَ أَنْ تَدْرِيَ بِذٰلِكَ .. لَقَدِ احْتَجَزَنا كارْفَر دُون ، وَأَقْسَمَ أَلّا يَدَعَني أُغادِرُ المَنْزِلَ إلّا إذا تَزَوَّجْتُهُ . »

كانَ مَعي مَزيدٌ مِنَ الطَّعامِ ، فَقَدَّمْتُهُ لَهُما وَرُحْتُ أَتَحَدَّثُ عَلى حينَ كانَتْ لُورْنا وَجُويني تَأْكُلانِ . وَقالَتْ لُورْنا بَعْدَ أَنْ فَرَغَتْ مِنْ تَناوُلِ الطَّعامِ :

« تعالَ إلى ٱلنَّافِذةِ وَشاهِدْهُمْ يُشْعِلونَ ٱلنَّارَ ٱلكُبْرى . لَقَدْ نَصَّبوا كارْفَر زَعيمًا وَقائِدًا ، وَسَوْفَ يُقيمونَ وَليمةً كَبيرةً تَكْريمًا لَهُ . »

وما إنْ عَلِمْتُ بِنَبَإِ ٱلاحْتِفالِ ٱلضَّخْمِ ، حَتَّى أَخَذْتُ أُفَكِّرُ في نَقْلِ لُورْنا إلى مَنْزِلي في تِلْكَ ٱللَّيْلةِ : فَلَنْ تَكونَ مُغادَرةُ ٱلوادي ، في مِثْلِ هٰذا ٱلوَقْتِ ، مَحْفوفةً بِٱلمَخاطِرِ ، إذْ سَيَكونُ آلُ دُون مَشْغولينَ بِطَعامِهِمْ وَشَرابِهِمْ وَلَهْوِهِمْ عَنْ مُراقَبَتِنا أَوْ رُؤْيَتِنا .

قُلْتُ لِلُورْنا : « سَوْفَ أَذْهَبُ ٱلآنَ ، ثُمَّ أَعودُ بَعْدَ ساعَتَيْنِ . احْزِمي مَلابِسَكِ كُلَّها ، وَاسْتَعِدِّي لِلرَّحيلِ مَعي . سَأَعودُ لِآخُذَكِ إلى مَنْزِلي . »



## الفصلُ ٱلثّالثُ وَٱلعِشْرون

## لُورْنا في بَيْتي

ذَهَبْتُ إلى ٱلبَيْتِ بِأَقْصى سُرْعةٍ مُمْكِنةٍ ، وَطَلَبْتُ إلى أُمِّي أَنْ تُدَفِّئَ حُجُراتِ ٱلمَنْزِلِ . وَأَعْطَتْني أُخْتي ليزي مِعْطَفًا صوفِيًّا بَديعًا لِتَرْتَدِيَهُ لُورْنا . ثُمَّ قَفَلْتُ راجِعًا إلى ٱلوادي عَبْرَ ٱلثُّلوجِ ٱلمُتَراكِمةِ .

أَتَيْتُ إلى مَنْزِلِ لُورْنا وَنادَيْتُ ، وَلٰكِنْ لَمْ أَسْمَعْ جَوابًا ، فَاقْتَحَمْتُ ٱلبابَ ، وَرَأَيْتُ مَنْظَرًا مُرَوِّعًا .

كانَتْ جُويني كارْفاكْس وَسَطَ ٱلحُجْرةِ تُمْسِكُ بِساقَيْ رَجُلٍ . وَكانَ هُناكَ رَجُلٌ آخَرُ يُحاوِلُ أَنْ يَنْزِعَ لُورْنا عَنْ كُرْسِيِّها . أَمْسَكْتُ بِٱلرَّجُلِ ٱلأَوَّلِ وَكانَ تشارْلي دُون ، وَقَذَفْتُ بِهِ مِنَ ٱلنَّافِذةِ ، ثُمَّ حَمَلْتُ ٱلثَّانيَ خارِجَ ٱلمَنْزِلِ ، وَكانَ ٱبْنَ لُورْد ويشيهالس ، وَقَذَفْتُ بِهِ وَسْطَ ٱلثُّلوجِ . وَاصْطَحَبْتُ لُورْنا وَجُويني بِسُرْعةٍ إلى ٱلخارِجِ وَسِرْنا وَسْطَ ٱلثُّلوجِ إلى أَنْ وَصَلْنا مَنْزِلي .

خَرَجَتْ أُمِّي لِاسْتِقْبالِ لُورْنا وَاحْتَضَنَتْها ، وَقَبَّلَتْها ، ثُمَّ رافَقَتْها إلى ٱلدَّاخِلِ ، حَيْثُ أَجْلَسَتْها عَلى كُرْسِيٍّ وَثيرٍ مُريحٍ . وَأَغْمَضَتْ لُورْنا عَيْنَيْها ، غَيْرَ أَنَّ يَدَها ٱلصَّغيرةَ ٱلرَّقيقةَ تَسَلَّلَتْ لِتُمْسِكَ بِيَدي .

## الفَصْلُ ٱلرَّابِعُ وَٱلعِشْرونَ

### العِقْدُ

بَدأَ ٱلثَّلْجُ في ٱلذَّوبانِ ، وَأَصْبَحَ ٱلسَّفَرُ مُمْكِنًا ، فَجاءَ تُوم فاجِس لِرُؤْيَةِ آني .

أَخْبَرْتُهُ بِقِصَّةِ لُورْنا ، وَكَيْفَ أَنَّني ٱلْتَقَيْتُ بِسِيْر إِنْسُور وَهُوَ عَلى فِراشِ ٱلمَوْتِ . ثُمَّ أَرَيْتُهُ ٱلعِقْدَ قائِلًا : « إِنَّهُ عِقْدٌ زُجاجِيٌّ .. شَيْءٌ شَبِيهٌ بِٱللُّعْبَةِ . »

فَصاحَ في دَهْشَةٍ : « لُعْبَةٌ ! إِنَّهُ مَصْنوعٌ مِنْ أَغْلى وَأَنْدَرِ أَنْواعِ ٱلماسِ ، وَثَمَنُهُ يَفوقُ ثَمَنَ مَزْرَعَتِكَ بِأَكْمَلِها . »

دَخَلَتْ لُورْنا ٱلحُجْرَةَ ، فَتَناوَلَ تُوم فاجِس ٱلعِقْدَ قائِلًا لَها : « كَمْ تَأْخُذينَ ثَمَنًا لِهٰذا ٱلعِقْدِ ؟ أَتَكْفيكِ خَمْسَةُ جُنَيْهاتٍ ؟ »

أَجابَتْ لُورْنا : « إِنَّهُ عِقْدٌ بَديعٌ حَقًّا ، وَلٰكِنَّ هٰذا ثَمَنٌ كَبيرٌ .. إِنَّني لا أَرْغَبُ في بَيْعِهِ ، فَقَدْ وَرِثْتُهُ عَنْ والِدَتي . »

أَضافَ تُوم قائِلًا : « لَوْ أَنَّ هٰذا ٱلعِقْدَ بِيعَ في لَنْدَن لَحَصَلْتِ عَلى مِئَةِ أَلْفِ جُنَيْهٍ ثَمَنًا لَهُ . »

قَدَّمَتْ لُورْنا ٱلعِقْدَ لِأُمّي قائِلَةً : « هٰذا يا أُمّاهُ ٱلعَزيزَةَ هَدِيَّةٌ مُتَواضِعَةٌ مِنّي إِلَيْكِ ؛ إِذْ لا شَيْءَ في ٱلدُّنْيا يُساوي ما أَسْبَغْتِ عَلَيَّ مِنْ حُبٍّ وَحَنانٍ . »



شَكَرَتْ أُمّي لُورْنا وَاعْتَذَرَتْ لَها في رِقَّةٍ عَنْ قَبولِ ٱلعِقْدِ ، فَناوَلَتْني لُورْنا إِيّاهُ ، وَطَلَبَتْ أَنْ أَحْتَفِظَ لَها بِهِ .

في ٱللَّيْلَةِ ٱلتّالِيَةِ جاءَنا جيريمي سْتِكْلِز ، وَأَخْبَرَنا أَنَّ ثَلاثَةً مِنْ آلِ دُون قَدْ حاوَلوا قَتْلَهُ ، وَأَنَّ واحِدًا مِنْ جُنودِهِ أُصيبَ .

كُنْتُ أُرَجِّحُ أَنَّ آل دُون لَنْ يُهاجِمونا ، في مُحاوَلَةٍ لِاسْتِعادَةِ لُورْنا ما دامَتِ ٱلأَرْضُ مُغَطّاةً بِمِياهِ ٱلثُّلوجِ ٱلذّائِبَةِ . وَلٰكِنَّني كُنْتُ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُمْ سَوْفَ يَأْتونَ ، بِمُجَرَّدِ أَنْ تَجِفَّ ٱلأَرْضُ . وَأَسِفْتُ لِتَرْكِي تُوم فاجِس يَرْحَلُ ، فَقَدْ كانَ زَميلًا نافِعًا ، وَمُقاتِلًا قَديرًا .

تَحَدَّثْتُ إِلى جيريمي في شَأْنِ ٱلمَعْرَكَةِ ٱلقادِمَةِ ضِدَّ آلِ دُون ، فَنَصَحَني بِأَنْ أَحْشُدَ أَكْبَرَ عَدَدٍ مُمْكِنٍ مِنَ ٱلرِّجالِ لِلاشْتِراكِ في هٰذِهِ ٱلمَعْرَكَةِ . وَكُنْتُ قَدِ ٱخْتَزَنْتُ كَمِّيَّةً هائِلَةً مِنَ ٱلطَّعامِ .

في ٱليَوْمِ ٱلتّالي خَرَجْتُ عَلى جَوادي لِاسْتِدْعاءِ جُنودِ سْتِكْلِز وَلٰكِنّي لَمْ أَجِدْ إِلّا أَرْبَعَةً مِنْهُمْ فَقَطْ . وَطَلَبْتُ إِلَيْهِمُ ٱلحُضورَ إِلى ٱلمَزْرَعَةِ في أَقْصَرِ وَقْتٍ مُمْكِنٍ ، فَوافَقوا عَلى ذٰلِكَ ، كَما وَعَدوا بِإِحْضارِ رَجُلَيْنِ آخَرَيْنِ مَعَهُمْ مِنَ ٱلحُرّاسِ ٱلرّابِضينَ في مَوْضِعٍ قَريبٍ مِنّا .

عُدْتُ بِسُرْعَةٍ إِلى ٱلمَنْزِلِ . وَكانَ ذٰلِكَ مِنْ حُسْنِ ٱلحَظِّ ، فَلَقَدْ وَقَعَ في غِيابي حادِثٌ خَطِرٌ : كانَتْ لُورْنا قَدْ خَرَجَتْ إِلى حَديقَةِ ٱلمَنْزِلِ لِتَسْتَمْتِعَ بِمُشاهَدَةِ ٱلأَزْهارِ . وَفوجِئَتْ وَهِيَ تَعودُ إِلى ٱلمَنْزِلِ ، بِعَيْنَيْنِ تَخْتَلِسانِ ٱلنَّظَرَ

إلَيها مِنْ خَلفِ ٱلأشْجارِ – كانَتا عَيْني كارْڤَر دُون !

تَسمَّرَتْ في مَكانِها مِنَ ٱلرُّعْبِ . وَقَهْقَهَ كارْڤَر ، ثُمَّ رَفَعَ بُنْدُقيَّتَهُ وَصوَّبَها إلى قَلْبِها . وَكانَتْ لا تَزالُ غَيْرَ قادِرةٍ على ٱلتَّحَرُّكِ أوِ ٱلنُّطْقِ . لٰكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أنْ خَفَضَ ٱلبُنْدُقيَّةَ ناحِيةَ ٱلأرْضِ ، ثُمَّ أطْلَقَها . وَتَطايَرَ ٱلتُّرابُ وَغَمَرَ لُورْنا . وَسَقَطَتْ على ٱلأرْضِ باكِيةً . عِنْدَئِذٍ سارَ كارْڤَر إلى ضِفَّةِ ٱلنَّهْرِ ٱلصَّغيرِ ٱلَّذي يَجْري عِنْدَ نِهايَةِ حَديقَتِنا ، وَصاحَ قائِلًا : « أنا لَمْ أقْتُلْكِ هٰذِهِ ٱلمَرَّةَ لِأنَّني لَمْ أشَأْ قَتْلَكِ ، كَما أنَّني لا أُقْدِمُ أبَدًا عَلى ٱلقَتْلِ وَأنا في سَوْرةِ ٱلغَضَبِ . غَيْرَ أنَّني سَوْفَ أقْتُلُكِ وَأقْتُلُ جُون رِد أيْضًا ، إذا لَمْ تَعودي غَدًا إلى وادي آلِ دُون ، حامِلةً مَعَكِ كُلَّ ما أخَذْتِ مِنْ مَنْزِلِكِ هُناكَ . » ثُمَّ ٱسْتَدارَ وَمَشى بَعيدًا إلى أنِ ٱخْتَفى عَنِ ٱلأنْظارِ .

حَضَرَ جُنودُ ستِكِلْز ٱلأرْبعةُ ، كَما حَضَرَ ٱلحارِسانِ . وَجَمَعْنا مَزيدًا مِنَ ٱلمُؤَنِ ، وَتَهَيَّأْنا لِلْمَعْرَكةِ .



## الفَصْلُ ٱلخامِسُ وَٱلعِشْرونَ

## مَعْرَكةٌ في فِناءِ ٱلمَزْرَعةِ

كُنَّا نَتَوَقَّعُ أنْ يَهْجُمَ آلُ دُون على ٱلمَنْزِلِ في تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ . فَأرْسَلْنا نِساءَ ٱلبَيْتِ لِلنَّوْمِ مُبَكِّراتٍ عَنْ مَوْعِدِهِنَّ ٱلمُعْتادِ ، فيما عَدا جُويني وَخادِمَتَنا ٱلعَجوزَ بيتِّي . وَكانَ ٱلمَطَرُ قَدْ سَقَطَ غَزيرًا في ٱللَّيْلَةِ ٱلسَّابِقَةِ ، وَغَطَّتْ مِياهُهُ ٱلأرْضَ في وادي آلِ دُون – وَلَمْ نَكُنْ نَتَوَقَّعُ أنْ يَهْجُموا بِأكْثَرَ مِنْ ثَمانِيَةِ مُقاتِلينَ أوْ عَشَرةٍ . كانَ لَدَيْنا في مُواجَهَتِهِمْ ثَمانِيَةُ رِجالٍ مُسَلَّحينَ بِٱلبَنادِقِ وَأرْبَعةٌ آخَرونَ يَحْمِلونَ ٱلعِصِيَّ وَٱلسَّكاكينَ فَقَطْ .

كانَتْ أُمْنِيَّتي ٱلكُبْرى أنْ أَلْتَقيَ بِكارْڤَر دُون لِأُقاتِلَهُ بِنَفْسي . وَكُنْتُ مِنَ ٱلضَّخامةِ وَٱلقُوَّةِ بِحَيْثُ أسْتَطيعُ حَمْلَ أيِّ رَجُلٍ وَٱلإطاحةَ بِهِ بَعيدًا . غَيْرَ أنَّ كارْڤَر كانَ مِثْلي في ٱلضَّخامةِ وَٱلقُوَّةِ ، وَكانَ مُقاتِلًا عَنيفًا يُمْكِنُهُ أنْ يَتَصَدَّى لي ، وَيُديرَ ٱلمَعْرَكةَ ضِدِّي بِمَهارةٍ . تَسَلَّقَتْ جُويني إحْدى ٱلأشْجارِ لِرَصْدِ تَحَرُّكاتِ آلِ دُون ، وَمَكَثْتُ أنا أنْتَظِرُ . وَلَمْ تَلْبَثْ أنْ عادَتْ جُويني بَعْدَ فَتْرةٍ مِنَ ٱلوَقْتِ لِتُخْبِرَني أنَّ عَشَرةَ رِجالٍ قَدْ عَبَروا ٱلنَّهْرَ ، وَأنَّهُمْ في طَريقِهِمْ إلَيْنا ، فَبَعَثْتُ بِٱلنَّبَإِ إلى جيريمي ستِكِلْز وَرِجالِهِ لِيَكونوا على ٱسْتِعْدادٍ مَعي لِمُلاقاتِهِمْ .

وَصَلَ آلُ دُون إلى فِناءِ ٱلمَزْرَعةِ . وَكانَ جُنودُنا يَكْمُنونَ لَهُمْ في سِتْرٍ مِنْ ظِلالِ ٱلمَنْزِلِ .

وَمالَ كارْڤَر دُون مُخاطِبًا ٱثْنَيْنِ مِنْ رِجالِهِ : « ٱذْهَبا أنْتُما ، وَأشْعِلا ٱلنَّارَ في أكْوامِ ٱلتِّبْنِ ، حَتَّى نَتَمَكَّنَ مِنْ قَتْلِهِمْ عَلى ضَوْءِ ٱللَّهَبِ . » ثُمَّ قالَ لِلآخَرينَ : « حَذارِ مِنْ أنْ يُصيبَ أحَدُكُمْ لُورْنا بِأذًى ، إذْ لَنْ أتَرَدَّدَ حينَئِذٍ في

قتله . إنَّ لورْنا في حِمايَتي أنا ، وَسَوْفَ تُصْبِحُ زَوْجَتي عَمَّا قَريبٍ . »

كانَ مِنَ ٱلسَّهْلِ حينَئِذٍ أَنْ أُطْلِقَ ٱلرَّصاصَ عَلى كارْفَر ، وَلٰكِنَّ يَدَيَّ لَمْ تَقْوِيا عَلى ذٰلِكَ ، فَلَمْ يَسْبِقْ لي أَنْ قَتَلْتُ إنْسانًا ، وَكُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ أَكونَ قاتِلًا .

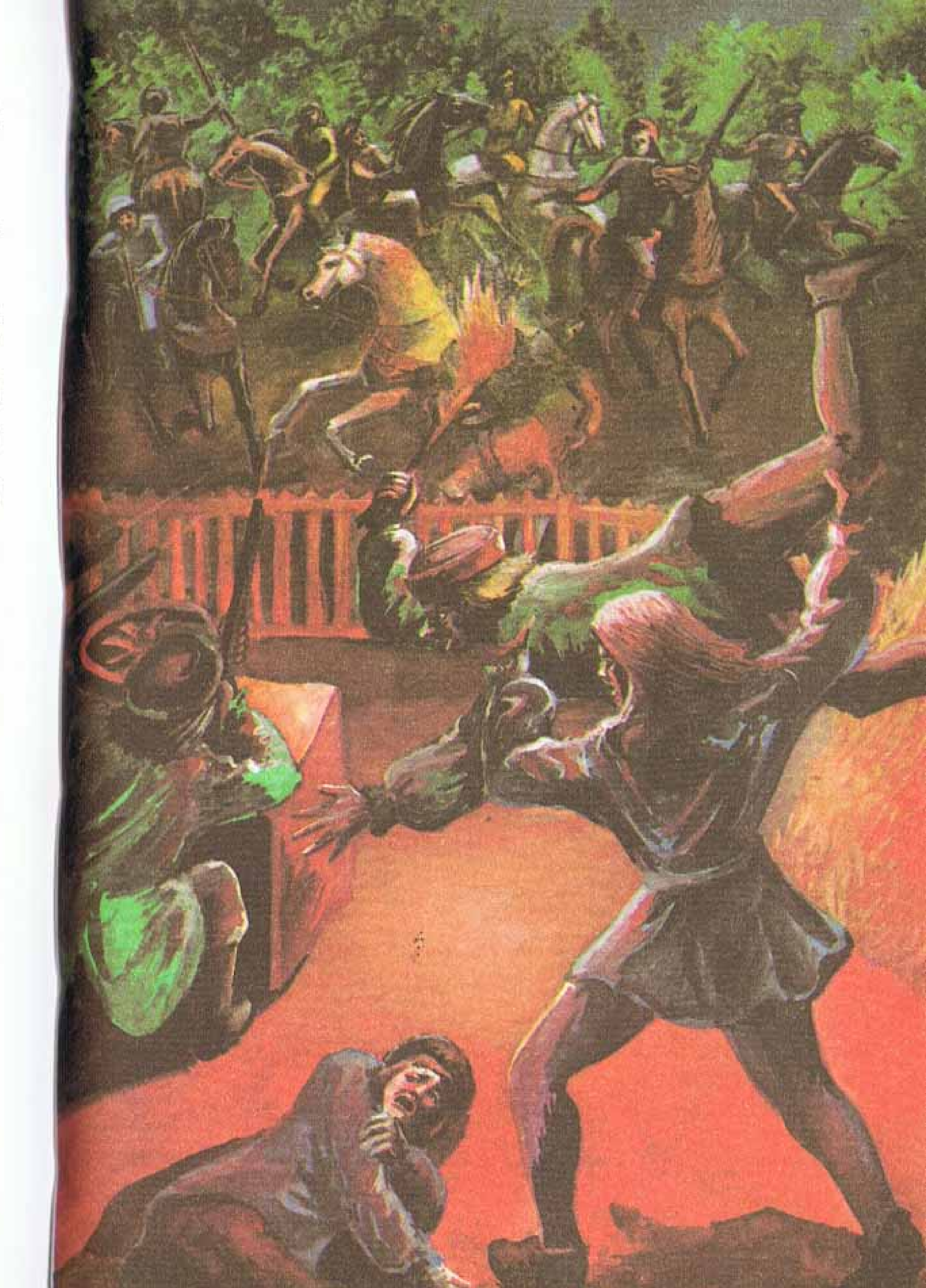
اقْتَرَبَ مِنّي رَجُلانِ مِنْ آلِ دون يَحْمِلانِ أَغْصانًا مُشْتَعِلَةً لِإضْرامِ ٱلنّارِ في أَكْوامِ ٱلتِّبْنِ . وَلَمْ يُبْصِراني بِسَبَبِ ٱلدُّخانِ ٱلْمُتَصاعِدِ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَغْصانِ . وَانْقَضَضْتُ بِسُرْعَةٍ خاطِفَةٍ عَلى أَحَدِ ٱلرَّجُلَيْنِ ، وَكَسَرْتُ ذِراعَهُ ، فَسَقَطَ ٱلْغُصْنُ مِنْ يَدِهِ ، وَأَخَذَ يَصْرُخُ مِنَ ٱلْأَلَمِ . وَتَوَقَّفَ ٱلثّاني ، فَالْتَقَطْتُ ٱلْغُصْنَ ٱلْمُشْتَعِلَ وَقَذَفْتُ بِهِ في وَجْهِهِ . وَقَفَزَ ٱلرَّجُلُ نَحْوي فَأَمْسَكْتُ بِهِ في عُنْفٍ شَديدٍ وَحَطَّمْتُ عَظْمَةَ كَتِفِهِ ، وَأَلْقَيْتُ بِهِ فَوْقَ زَميلِهِ .

وَهُنا أَطْلَقَ جُنودُنا ٱلنّارَ ، فَأَحْدَثَ ذٰلِكَ دَوِيًّا شَديدًا ، وَسَقَطَ اثْنانِ مِنْ آلِ دون ، وَتَوَقَّفَ زَحْفُ ٱلْآخَرينَ . عِنْدَئِذٍ تَقَدَّمْتُ عَبْرَ فِناءِ ٱلْمَزْرَعَةِ نَحْوَ كارْفَر وَقَبَضْتُ عَلى لِحْيَتِهِ قائِلًا :

« أَتَدْعو نَفْسَكَ رَجُلًا ؟ » وَحاوَلَ أَنْ يُصَوِّبَ بُنْدُقِيَّتَهُ إلى صَدْري ، غَيْرَ أَنَّني هَوَيْتُ بِضَرْبَةٍ خاطِفَةٍ عَلى يَدِهِ فَسَقَطَ سِلاحُهُ عَلى ٱلْأَرْضِ ، ثُمَّ ضَغَطْتُ عَلى ذِراعِهِ بِشِدَّةٍ ، وَأَنا أَصيحُ في وَجْهِهِ : « وَٱلْآنَ خُذْ حَذَرَكَ مِنّي يا كارْفَر ! إذا ظَنَنْتُ أَنَّني أَضْعَفُ مِنْكَ ، فَأَنْتَ ساذَجٌ ، بَلْ وَأَبْلَهُ . قَدْ لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُدانِيَكَ في ٱلْخِداعِ وَٱلْمَكْرِ ، وَلٰكِنَّني لا أَقِلُّ عَنْكَ قُوَّةً . وَلَسَوْفَ أُثْبِتُ لَكَ ذٰلِكَ بِتَمْريغِكَ ٱلْآنَ في ٱلتُّرابِ ! »

دَفَعْتُهُ بِعُنْفٍ إلى ٱلْوَراءِ ، فَوَقَعَ عَلى ظَهْرِهِ . وَما إنْ رَأى سائِرُ ٱلرِّجالِ قائِدَهُمْ طَريحَ ٱلْأَرْضِ ، حَتّى لاذوا بِالْفِرارِ تارِكينَ لَنا خُيولَهُمْ وَجُثَّتَيِ ٱلْقَتيلَيْنِ ٱللَّذَيْنِ صَرَعَهُما جُنودُنا .





## الفَصْلُ ٱلسَّادِسُ وٱلعِشْرونَ

## زيارةٌ مِنَ ٱلمُسْتَشارِ

عَقِبَ تِلْكَ ٱلمَعْرَكةِ بِوَقْتٍ قَصيرٍ ، لَحِقَ بِنا مَزيدٌ مِنَ ٱلجُنودِ ، فَلَمْ نَعُدْ نَخْشى هُجومًا آخَرَ قَدْ يَشُنُّهُ آلُ دُون .

ذاتَ مَساءٍ ، بَعْدَ عَوْدَتي مِنْ تَفَقُّدِ ٱلمَزْرَعةِ عَلى ظَهْرِ ٱلجَوادِ ، أَقْبَلَتْ ليزي لِمُلاقاتي عِنْدَ بابِ ٱلمَنْزِلِ قائِلةً : « لا تَدْخُلْ حُجْرةَ أُمّي ٱلآنَ ، فَعِنْدي ما سَوْفَ أَقولُهُ لَكَ . »

سَأَلْتُها : « ما ٱلأَمْرُ ؟ هَلْ أَصابَ لُورْنا مَكْروهٌ ؟ » فَأَجابَتْ : « كَلّا ، غَيْرَ أَنَّهُ جاءَنا ضَيْفٌ مَهيبٌ ذو شَعْرٍ أَشْيَبَ وَلِحْيةٍ طَويلةٍ بَيْضاءَ ، وَأَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ آلِ دُون . »

قُلْتُ : « إِنَّهُ ٱلمُسْتَشارُ ! »

ذَهَبْتُ وَعُدْتُ بِلُورْنا ، وَدَخَلْنا مَعًا حُجْرَةَ أُمّي ، وَكانَتْ واقِفةً عِنْدَ ٱلبابِ تَتَحَدَّثُ إِلى ٱلمُسْتَشارِ .

بَسَطَ ٱلمُسْتَشارُ يَدَيْهِ لِلُورْنا قائِلًا : « إِنَّكِ تَبْدينَ بِخَيْرٍ يا ٱبْنَتي ٱلعَزيزةَ ! هَيّا قَبِّلي عَمَّكِ . »

أَجابَتْ : « لا أَرْغَبُ في تَقْبيلِكَ ، فَرائِحةُ ٱلدُّخانِ تَفوحُ مِنْكَ . » وَصَمَتَ ٱلمُسْتَشارُ بُرْهةً ، ثُمَّ قالَ : « إِذًا فَأَنْتَ جُون رِد .. جُون رِد ،



ٱلمُقاتِلُ ٱلشُّجاعُ ٱلَّذي يُريدُ ٱلزَّواجَ بِٱبْنَتِنا لُورْنا . حَسَنًا ، أَعْتَقِدُ أَنَّكُما سَتَكونانِ سَعيدَيْنِ مَعًا بِهٰذا ٱلزَّواجِ ، فَسَيَكونُ لَدَيْكُما مَوْضوعٌ مُشْتَرَكٌ تَتَحَدَّثانِ فيهِ دائِمًا : أَلا وَهُوَ ما فَعَلَ والِدُ كُلٍّ مِنْكُما بِٱلآخَرِ ! »

قُلْتُ : « لَسْتُ أَفْهَمُ ما تَعْنيهِ بِهٰذا ٱلكَلامِ . »

قالَ ٱلرَّجُلُ في نَبْرةٍ حاسِمةٍ : « أَعْني أَنَّ والِدَ لُورْنا قَتَلَ أَباكَ ، وَأَنَّ أَباكَ قَتَلَ والِدَ لُورْنا . »

كانَ ذٰلِكَ أَفْظَعَ شَيْءٍ يُمْكِنُ أَنْ أَسْمَعَهُ .

قُلْتُ في ذُهولٍ : « وَلٰكِنَّكَ تَعْرِفُ أَنَّ سير إِنْسُور وافَقَ عَلى زَواجي بِلُورْنا وَبارَكَهُ ... إِنَّنا مُتَحابّانِ ، وَسَنَظَلُّ مُتَحابَّيْنِ إِلى ٱلأَبَدِ . »

صاحَتْ لُورْنا قائِلةً : « أَنْتَ عَلى حَقٍّ ياجون .. أَنا لا أُصَدِّقُ ما قالَهُ ٱلمُسْتَشارُ عَنْ أَبَوَيْنا ... إِنَّنا مُتَحابّانِ ، وَلَنْ يَنالَ شَيْءٌ في ٱلدُّنْيا مِنْ حُبِّنا ، أَوْ يَحولَ دونَ إِتْمامِ زَواجِنا . »

باتَ ٱلمُسْتَشارُ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ في بَيْتِنا . وَفي ٱلصَّباحِ ، أَخْبَرَتْني لُورْنا أَنَّها شَعَرَتْ أَثْناءَ ٱللَّيْلِ بِحَرَكةٍ غَريبةٍ في ٱلمَنْزِلِ ، وَكَأَنَّ شَخْصًا يَجوسُ في أَرْجائِهِ بَحْثًا عَنْ شَيْءٍ مُعَيَّنٍ .

خَرَجَتْ آني إِلى قاعةِ ٱلأَلْبانِ قُبَيْلَ ٱلضُّحى ، فَتَبِعَها ٱلمُسْتَشارُ . وَتَطَلَّعَ ٱلرَّجُلُ إِلى ٱلآنِيةِ ٱلمَليئةِ بِٱلحَليبِ . ثُمَّ قالَ لِآني : « أَتَعْرِفينَ أَنَّهُ لَوْ مَرَرْتِ بِعِقْدٍ

زُجاجيٍّ عَلى صَفْحةِ هٰذا اللَّبَنِ ، فَسَوْفَ تَتكَوَّنُ القِشْدةُ عَلى سَطْحِهِ بِسُرْعةٍ أَكْبَرَ ؟ »

أَجابَتْ آني بِدَهْشةٍ : « هٰذِهِ مَعْلومةٌ جَديدةٌ لَمْ أَسْمَعْ بِها مِنْ قَبْلُ ! » عِنْدَئِذٍ أَسْرَعَ المُسْتَشارُ يَسْأَلُها : « هَلْ لَدَيْكِ عِقْدٌ زُجاجيٌّ ؟ » فَهَتَفَتْ آني ، وَقَدْ تَمَلَّكَها الحَماسُ لِعَمَلِ التَّجْرِبةِ : « لُورْنا تَمْلِكُ واحِدًا ، وَأَنا أَعْرِفُ مَكانَهُ . كانَ جُون يَحْتَفِظُ بِهِ يَوْمًا ما ، وَلٰكِنَّهُ في حُجْرةِ لُورْنا الآنَ .. سَأَذْهَبُ لإِحْضارِهِ . »

جَرَتْ إِلى المَنْزِلِ ، ثُمَّ عادَتْ بِالعِقْدِ . وَطافَ بِهِ المُسْتَشارُ عَلى سَطْحِ اللَّبَنِ – وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَبَّأَهُ تَحْتَ الوِعاءِ قائِلًا : « اُتْرُكيهِ هُنا لِمُدَّةِ يَوْمٍ وَلَيْلةٍ ، وَلا تُخْبِري أَحَدًا بِمَكانِهِ . »

غادَرَتْ آني قاعةَ الأَلْبانِ ، وَبَعْدَها بِلَحَظاتٍ غادَرَها المُسْتَشارُ كَذٰلِكَ ، وَلٰكِنْ بَعْدَ أَنْ وَضَعَ في جَيْبِهِ العِقْدَ الثَّمينَ !



## الفَصْلُ السَّابِعُ وَالعِشْرونَ

### قِصَّةُ جيريمي

في مَساءِ اليَوْمِ ذاتِهِ ، عادَ جيريمي ستِكِلز لِيُخْبِرَني أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ أُعِدَّ لِلْمَعْرَكةِ الكُبْرى ضِدَّ آلِ دُون ، فَأَخْبَرْتُهُ بِدَوْري عَنْ سَرِقةِ المُسْتَشارِ لِلْعِقْدِ .

وَرَوى لي جيريمي آخِرَ ما عَرَفَهُ مِنْ جَرائِمِ آلِ دُون ، فَقالَ : « كُنْتُ في بَلْدةِ واتْشِت مُنْذُ أَيَّامٍ قَليلةٍ . وَالتَقَيْتُ هُناكَ بِسَيِّدةٍ إيطالِيَّةٍ تُدْعى بينيتّا ، وَكانَتْ تَعْمَلُ خادِمةً لَدى عائِلةٍ إيطالِيَّةٍ تَقْطُنُ إِحْدى مُدُنِ إيطالْيا . وَجاءَ إِلى المَدينةِ لُورْد إِنْجليزيٌّ وَتَزَوَّجَ ابْنةَ هٰذِهِ العائِلةِ ثُمَّ اصْطَحَبَ اللُّورْد زَوْجَتَهُ وَمَعَهُما الخادِمةُ بينيتّا إِلى بَيْتِهِ . وَكانَ اللُّورْد كَثيرَ التَّحَدُّثِ عَنْ عائِلَتِهِ في إِنْجِلْترا ، وَرَوى كَيْفَ فَقَدَ أَحَدُ أَفْرادِ العائِلةِ كُلَّ أَراضيهِ وَأَصْبَحَ مُجْرِمًا خارِجًا عَلى القانونِ . وَقَدْ قُتِلَ اللُّورْد ذاتَ يَوْمٍ وَهُوَ يَجولُ عَلى ظَهْرِ جَوادِهِ .

« رَحَلَتْ زَوْجَتُهُ الإيطالِيَّةُ ، وَمَعَها ابْنَتُها الصَّغيرةُ ، وَخادِمَتُها بينيتّا إِلى إِنْجِلْترا وَوَصَلْنَ إِلى هٰذِهِ المُقاطَعةِ حَيْثُ اسْتَأْجَرْنَ عَرَبةً تُقِلُّهُنَّ إِلى مَنْزِلِهِنَّ الَّذي يَقَعُ في مَكانٍ ما قُرْبَ مَزْرَعَتِكَ . وَحَذَّرَهُنَّ السَّائِقُ مِنْ أَنَّ آلَ دُون قَدْ يَقْطَعونَ عَلَيْهِنَّ الطَّريقَ ، وَلٰكِنَّ السَّيِّدةَ قالَتْ إِنَّها لا تَخْشى ذٰلِكَ ، لِأَنَّها تَعْلَمُ أَنَّ آلَ دُون لا يُؤْذونَ السَّيِّداتِ وَالأَطْفالَ .

« مَرَّتِ العَرَبةُ بِبَلْدةِ واتْشِت وَاقْتَرَبَتْ مِنْ شاطِئِ البَحْرِ . وَلاحَ في الأُفُقِ رِجالٌ عَلى ظُهورِ الجِيادِ يَتَّجِهونَ نَحْوَ العَرَبةِ ، وَحاوَلَ السَّائِقُ أَنْ يُسْرِعَ

لِيَتَمَكَّنَ مِنَ ٱلهَرَبِ . وَلٰكِنَّ ٱلعَجَلاتِ ٱنْغَرَزَتْ في ٱلرِّمالِ ٱلرَّخْوةِ .

« وَما إنْ ظَهَرَ ٱلرِّجالُ عَنْ قُرْبٍ حَتَّى صاحَتِ ٱلسَّيِّدةُ قائِلةً إنَّها تَعْرِفُ واحِدًا مِنْهُمْ وَإنَّهُ عَدُوٌّ قَديمٌ لِأُسْرَتِها .

« وَكانَتِ ٱلخادِمةُ بينيتّا تَحْمِلُ عُلْبَةَ ٱلجَواهِرِ ٱلخاصَّةِ بِسَيِّدَتِها ، وَفي داخِلِها عِقْدٌ مِنَ ٱلماسِ ٱلثَّمينِ . وَلَفَّتِ ٱلعِقْدَ حَوْلَ عُنُقِ ٱلابْنةِ ٱلصَّغيرةِ . وَهاجَمَ ٱلرِّجالُ ٱلعَرَبَةَ ، وَكانوا مِنْ آلِ دُون ، فانْحَدَرَتْ نَحْوَ ٱلبَحْرِ . وَارْتَمَتْ بينيتّا عَلى ٱلرِّمالِ فاقِدةَ ٱلوَعْيِ . وَعِنْدَما أَفاقَتْ كانَ ٱلرِّجالُ قَدِ ٱخْتَفَوا حامِلينَ مَعَهُمُ ٱلفَتاةَ ٱلصَّغيرةَ . أَمَّا ٱلسَّيِّدةُ ٱلأُمُّ ، فَقَدْ نُقِلَتْ إلى بَلْدةِ واتْشِت حَيْثُ ماتَتْ بَعْدَ ذٰلِكَ بِقَليلٍ .

« وَبَقِيَتْ بينيتّا في واتْشِت بِمُفْرَدِها بِلا نُقودٍ ، فَقَدْ نَهَبَ آلُ دُون كُلَّ شَيْءٍ ، كَما ٱحْتَجَزَتِ ٱلحُكومةُ أَراضِيَ سَيِّدَتِها رَيْثَما تَجِدُ وَريثَتَها ٱلشَّرْعِيَّةَ ، إذْ إنَّ ٱلفَتاةَ ٱلمَخْطوفةَ هِيَ ٱلوَريثةُ ٱلشَّرْعِيَّةُ ٱلوَحيدةُ لِكُلِّ تِلْكَ ٱلأَراضي . »

حينَئِذٍ تَذَكَّرْتُ ذٰلِكَ ٱليَوْمَ ٱلَّذي كُنْتُ عائِدًا فيهِ مِنَ ٱلمَدْرَسةِ إلى قَرْيَتي بَعْدَ مَوْتِ والِدي ، وَتَذَكَّرْتُ ٱلخادِمةَ ٱلإيطالِيَّةَ ٱلَّتي طَلَبَتْ مِنِّي كُوبَ ماءٍ لِسَيِّدَتِها ، كَما تَذَكَّرْتُ كَيْفَ مَرَرْتُ بَعْدَ ذٰلِكَ بِٱلعَرَبةِ ٱلَّتي كانَتْ فيها ٱلسَّيِّدةُ ، وَإلى جانِبِها فَتاةٌ صَغيرةٌ جَميلةٌ وَكَيْفَ رَأَيْتُ ، فيما بَعْدُ ، رِجالًا راكِبينَ ٱلجِيادَ وَيَحْمِلُ أَحَدُهُمْ فَتاةً صَغيرةً عَلى جَوادِهِ !

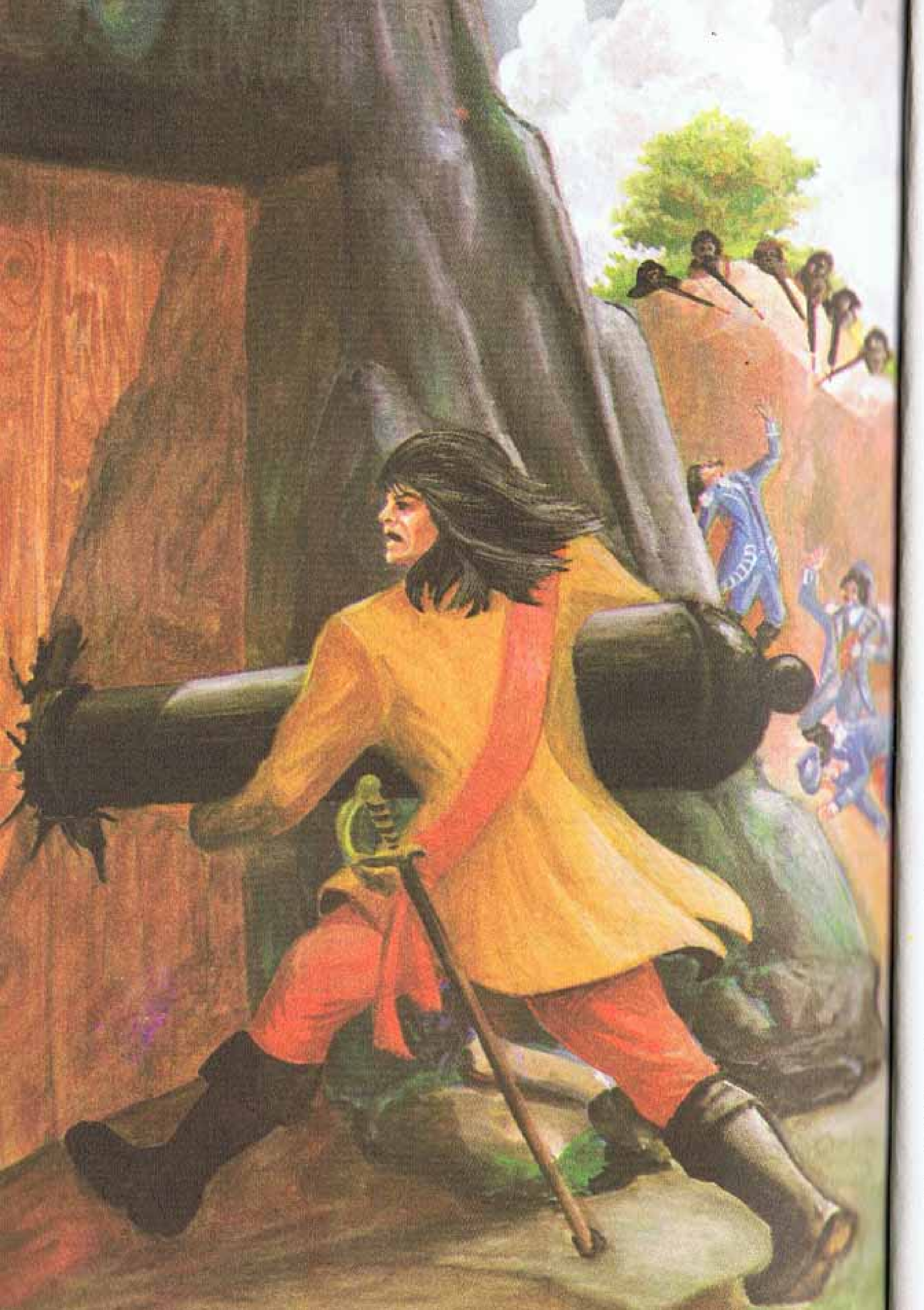
إنَّ لُورْنا إذًا تَنْتَمي لِأُسْرةِ لورْداتٍ عَظيمةٍ ، كَما تَمْتَلِكُ أَراضِيَ شاسِعةً



وَقَدْ لا أَسْتَطيعُ ٱلزَّواجَ بِها أَبَدًا . غَيْرَ أَنَّني خَرَجْتُ مِنْ قِصَّةِ جيريمي بِشَيْءٍ آخَرَ بالِغِ ٱلأَهَمِّيَّةِ : لَيْسَ صَحيحًا أَنَّ والِدَ لورْنا هُوَ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذي قَتَلَ والِدي .

اِمْتَطَيْتُ جَوادي وَسافَرْتُ إلى واتْشِت ، حَيْثُ ٱلْتَقَيْتُ بِبينيتّا . وَأَرَيْتُها ٱلخاتَمَ ٱلعَريقَ ٱلَّذي أَعْطاهُ لي سِيرْ إنْسُور . وَعَرَفَتْ بينيتّا ٱلخاتَمَ في ٱلحالِ ، فَقَدْ كانَ خاتَمَ سَيِّدَتِها ٱلإيطالِيَّةِ .

عِنْدَئِذٍ أَيْقَنْتُ أَنَّ لُورْنا لا تَنْتَمي لِآلِ دُون . إنَّ ٱسْمَها ٱلحَقيقِيَّ هُوَ ديوجال ، فَهِيَ ٱبْنةُ لورْد ديوجال . كَما ٱكْتَشَفْتُ كَذٰلِكَ خُطَّةَ آلِ دُون ٱلجَهَنَّمِيَّةَ : فَقَدْ كانوا يُريدونَ أَنْ يَتَزَوَّجَ كارْفَر لُورْنا حَتَّى يَتَمَكَّنوا مِنَ ٱلاسْتيلاءِ عَلى كُلِّ أَراضيها !



## الفَصْلُ ٱلثَّامِنُ وَٱلعِشْرونَ

## مَعْرَكةُ ٱلوادي ٱلأُولى

تَهَيَّأَتْ ثَلاثُ مَجْموعاتٍ مِنَ ٱلمُقاتِلينَ لِشَنِّ ٱلهُجومِ عَلى وادي آلِ دُون :

اَلأُولى سِتُّونَ رَجُلًا مِنْ إقْليمِ سُومِرْسِت ، يَرْتَدونَ مَلابِسَ صَفْراءَ .

اَلثَّانيةُ سِتُّونَ رَجُلًا مِنْ إقليمِ ديڤون ، يَرْتَدونَ مَلابِسَ حَمْراءَ .

اَلثَّالثَةُ خَمْسَةٌ وَثَلاثونَ فارِسًا مِنْ جَيْشِ ٱلمَلِكِ .

وَكانَتْ لَدَيْنا ثَلاثةُ مَدافِعَ تَجُرُّها ٱلجِيادُ : مِدْفَعٌ لِكُلِّ مَجْموعةٍ . وَبَدَأْنا ٱلمَسيرةَ مَعًا نَحْوَ ٱلوادي .

كانَتِ ٱلخُطَّةُ تَقْضي بِأَنْ يُرابِضَ رِجالُ سُومِرْسِت في ٱلتِّلالِ ٱلواقِعةِ شَرْقِيَّ ٱلوادي ، حَتَّى يَصِلَ رِجالُ ديڤون إلى ٱلمُرْتَفَعاتِ ٱلَّتي تَحِدُّ ٱلواديَ مِنَ ٱلغَرْبِ ، وَأَنْ تُطْلِقَ ٱلقُوَّتانِ مَعًا نيرانَها عَلى آلِ دُون مِنَ ٱلشَّرْقِ وَمِنَ ٱلغَرْبِ في آنٍ واحِدٍ ، عَلى حِينِ يَتَقَدَّمُ فُرْسانُ ٱلجَيْشِ – وَعَلى رَأْسِهِمْ جيريمي ستِكِلْز وَأَنا – لِاقْتِحامِ ٱلوادي عَبْرَ ٱلبَوَّابةِ . تِلْكَ كانَتْ خُطَّتَنا ٱلمَرْسومةَ ، إلَّا أَنَّ ٱلأُمورَ لَمْ تَسِرْ كَما خَطَّطْنا لَها .

لَقَدْ بَلَغْنا بَوَّابةَ آلِ دُون وَكانَ مِدْفَعُنا مُعَدًّا . وَما إنْ سَمِعْنا دَوِيَّ ٱلرَّصاصِ يَنْطَلِقُ مِنْ ناحِيَتَي ٱلشَّرْقِ وَٱلغَرْبِ ، حَتَّى ٱنْدَفَعْنا إلى ٱلجانِبِ ٱلآخَرِ مِنَ ٱلتَّلِّ لِاقْتِحامِ ٱلبَوَّابةِ بِمِدْفَعِنا . وَاقْتَرَبْنا مِنَ ٱلبَوَّابةِ ، فَلَمْ نَجِدْ أَحَدًا هُناكَ غَيْرَ أَنَّ ٱلعَدُوَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ فاجَأَنا بِإطْلاقِ ٱلنَّارِ مِنْ مَكانٍ مَجْهولٍ ، مُسْتَخْدِمًا في ذٰلِكَ

اثْنَتَيْ عَشْرَةَ بُنْدُقِيَّةً ، أَوْ ما يَقْرُبُ مِنْ هٰذا العَدَدِ . وَسَقَطَ مِنْ بَيْنِنا بَعْضُ الرِّجالِ ، وَلٰكِنَّ ذٰلِكَ لَمْ يَنَلْ مِنْ شَجاعَةِ الآخَرينَ . وَكُنّا – أَنا وَجيريمي – في المُقَدِّمَةِ ، وَمِنْ وَرائِنا المِدْفَعُ تَجُرُّهُ الجِيادُ .

وَسُرْعانَ ما اكْتَشَفْنا أَنَّ آل دُون يَتَوارَوْنَ وَراءَ بَعْضِ الشُّجَيْراتِ الكَثيفَةِ ، فَعَدَوْنا لِمُلاقاتِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنوا مِنْ حَشْوِ بَنادِقِهِمْ بِالرَّصاصِ . وَفَجْأَةً دَوَّى صَوْتُ ارْتِطامٍ هائِلٍ مِنْ وَرائي ، أَعْقَبَهُ جَلَبَةٌ عالِيَةٌ وَصَرَخاتٌ مُرْعِبَةٌ مِنَ الرِّجالِ وَالجِيادِ – فَلَقَدْ أُسْقِطَتْ شَجَرَةٌ ضَخْمَةٌ مِنْ فَوْقِ قِمَّةِ التَّلِّ عَلى الجِيادِ وَالمِدْفَعِ ، فَأَصابَتِ اثْنَيْنِ مِنْ رِجالِنا ، وَقَصَمَتْ ظَهْرَ أَحَدِ الجِيادِ ، وَكَسَرَتْ ساقَ جَوادٍ آخَرَ .

تَمَلَّكَني غَضَبٌ شَديدٌ ، فَقَدْ كُنْتُ أُحِبُّ هٰذَيْنِ الجَوادَيْنِ حُبًّا جَمًّا ، وَجَرَيْتُ عائِدًا إِلى مَكانِ الحادِثِ . وَتَبِعَني سِتَّةُ رِجالٍ ، مِنْ بَيْنِهِمْ جيريمي . وَأَطْلَقَ آل دُون الرَّصاصَ عَلَيْنا ، فَأَصابوا بَعْضًا مِنْ رِجالِنا ، غَيْرَ أَنَّني واصَلْتُ السَّيْرَ . وَحَمَلْتُ المِدْفَعَ بَيْنَ يَدَيَّ ، وَاقْتَحَمْتُ بِهِ في جُنونٍ بابَ البَوّابَةِ الخَشَبِيَّ الضَّخْمَ فَتَحَطَّمَ . وَانْحَشَرَ المِدْفَعُ في فُتْحَةِ البابِ المُحَطَّمِ حَتّى إِنَّني لَمْ أَسْتَطِعْ تَخْليصَهُ بِجَذْبِهِ إِلى الخارِجِ ، وَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا بِالقُرْبِ مِنّي يُسْرِعُ إِلى مَعونَتي . وَتَراجَعْتُ بِضْعَ خُطُواتٍ إِلى الخَلْفِ بَحْثًا عَنْ جيريمي ، فَوَجَدْتُهُ مُمَدَّدًا عَلى الأَرْضِ ، مُلَطَّخَ الوَجْهِ بِالدِّماءِ . وَحَمَلْتُهُ في التَّوِّ إِلى مَكانٍ مَأْمونٍ حَيْثُ تَمَّ إِسْعافُهُ .

فوجِئْتُ بَعْدَ لَحَظاتٍ بِغُلامٍ مِنْ أَتْباعِنا يُسْرِعُ إِلَيَّ قائِلًا : « لَقَدْ خَسِرْنا المَعْرَكَةَ . إِنَّ رِجالَ ديڤون وَرِجالَ سومَرْسِت يَتَقاتَلونَ .... لَقَدْ هَزَمَنا آل دُون . »



صَنَعْنا عَرَبَةً مِنْ غُصونِ الأَشْجارِ لِتَحْمِلَ جَرْحانا ، وَاسْتَخْدَمْنا الجِيادَ الَّتي بَقِيَتْ عَلى قَيْدِ الحَياةِ في جَرِّها .

وَالآنَ سَأُخْبِرُكُمْ كَيْفَ نَشِبَ القِتالُ بَيْنَ فَريقَيْ ديڤون وَسومَرْسِت :

كانَ عَلى رِجالِ ديڤون أَنْ يَسيروا مَسافَةً طَويلَةً لِكَيْ يَصِلوا إِلى مَوْقِعِهِمْ عَلى الحُدودِ الغَرْبِيَّةِ لِوادي آلِ دُون . وَكانوا يَخْشَوْنَ أَنْ يَبْدَأَ رِجالُ سومَرْسِت المَعْرَكَةَ قَبْلَ وُصولِهِمْ ، فَيَفْخَروا ، فيما بَعْدُ ، بِأَنَّهُم قَدْ أَحْرَزوا النَّصْرَ بِمُفْرَدِهِمْ . فَما إِنْ أَتَوْا إِلى مَوْقِعِهِمْ فَوْقَ التِّلالِ الغَرْبِيَّةِ ، حَتّى جَهَّزوا مِدْفَعَهُمْ ، ثُمَّ أَطْلَقوا دونَ تَصْويبٍ مُحَدَّدٍ . وَعَبَرَتِ القَذيفَةُ الوادِيَ وَأَصابَتْ رِجالَ سومَرْسِت عَلى الجانِبِ الآخَرِ فَقُتِلَ واحِدٌ مِنْهُمْ وَجُرِحَ اثْنانِ .

ثارَتْ ثائِرَةُ رِجالِ سومَرْسِت وَظَنّوا بِرِجالِ ديڤون الظُّنونَ ، فَرَدّوا عَلَيْهِمْ بِإِطْلاقِ نارِ مِدْفَعِهِمْ ، وَأَسْقَطوا مِنْهُمْ خَمْسَةَ رِجالٍ . وَنَشِبَتْ بَعْدَ ذٰلِكَ مَعْرَكَةٌ بَيْنَ رِجالِ فَريقَيْ ديڤون وَسومَرْسِت .

في تِلْكَ الأَثْناءِ ، خَرَجَ آل دُون مِنَ الطَّريقِ السِّرِّيِّ ، الَّذي كانَتْ تَسْتَخْدِمُهُ جوِيني مِنْ قَبْلُ ، وَهاجَموا رِجالَ سومَرْسِت ، أَيْضًا ، فَقَتَلوا أَرْبَعَةً مِنْهُمْ ، وَاسْتَوْلَوْا عَلى مِدْفَعِهِمْ .

أَمّا رِجالُ ديڤون فَقَدْ عادوا إِلى مُقاطَعَتِهِمْ ، وَمَعَهُمْ مِدْفَعُهُمْ يَجُرّونَ أَذْيالَ الخَيْبَةِ .

وَهٰكَذا خَسِرْنا تِلْكَ الجَوْلَةَ ضِدَّ آلِ دُون .

# الفَصْلُ ٱلتَّاسِعُ وَٱلعِشْرونَ

## رَحيلُ لُورْنا

كُنْتُ مُسافِرًا لِزِيارَةِ بَعْضِ ٱلأَصْدِقاءِ ، وَفُوجِئْتُ عِنْدَ عَوْدَتي أَنَّ لُورْنا لَمْ تُسْرِعْ لِلِقائي كَعادَتِها ، عِنْدَ بابِ ٱلحَديقَةِ .

سَأَلْتُ أُمّي : « أَيْنَ لُورْنا ؟ » فَلَمْ تُجِبْ .

اِلْتَفَتُّ إلى أُخْتي ليزي مُكَرِّرًا نَفْسَ ٱلسُّؤالِ .

رَدَّتْ ليزي قائِلَةً : « لَقَدْ ذَهَبَتِ ٱللَّيْدي لُورْنا ديوجال إلى لَنْدَن ، وَأَظُنُّ أَنَّها لَنْ تَعودَ ثانِيَةً . »

صِحْتُ : « لَقَدْ رَحَلَتْ لُورْنا .. رَحَلَتْ حَبيبَتي لُورْنا دونَ أَنْ تُوَدِّعَني ! »

أَضافَتْ ليزي قائِلَةً : « لَقَدْ بَكَتْ طَويلًا قَبْلَ رَحيلِها وَتَرَكَتْ لَكَ خِطابًا في غُرْفَتِها . »

جَرَيْتُ إلى حُجْرَةِ لُورْنا ، وَفَتَحْتُ ٱلخِطابَ ، وَقَرَأْتُ ٱلسُّطورَ ٱلتّالِيَةَ :

« يا أَحَبَّ ٱلنّاسِ إِلَيَّ ، أَرْجو أَنْ تُقَدِّرَ سَبَبَ رَحيلي دونَ أَنْ أُوَدِّعَكَ ، فَقَدْ رَفَضَ رِجالُ ٱلمَلِكِ ٱلِانْتِظارَ .. إِنَّ عَمّي – وَهُوَ أَحَدُ كِبارِ ٱللُّورْدات – يَنْتَظِرُني في بَلْدَةِ دَنسْتَر لِأَنَّ ٱلمَلِكَ أَمَرَ بِأَنْ أَكونَ تَحْتَ وِصايَةِ هٰذا ٱلعَمِّ إلى أَنْ أَبْلُغَ سِنَّ ٱلحادِيَةِ وَٱلعِشْرينَ ...



« هٰذا حُكْمٌ قاسٍ وَغَيْرُ عادِلٍ . وَقُلْتُ لَهُمْ إِنَّني لا أُريدُ أَراضِيَّ وَلا نُقودي ، وَإِنَّني أَرْغَبُ في ٱلبَقاءِ هُنا فَحَسْبُ ، وَلٰكِنَّهُمْ أَخْبَروني أَنَّني يَجِبُ أَنْ أُطيعَ أَمْرَ ٱلمَلِكِ . لَنْ يُبْعِدَني عَنْكَ شَيْءٌ ، أَوْ يَأْخُذَني مِنْكَ أَحَدٌ . »

المُخْلِصَةُ إلى ٱلأَبَدِ

لُورْنا ديوجال

وَبِرَغْمِ ما كانَ يَبْدو مِنْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدِ انْتَهى ، فَإِنَّ قَلْبي كانَ يُحَدِّثُني بِأَنَّ ٱلنِّهايَةَ سَتَكونُ سَعيدَةً .

## الفَصْلُ الثَّلاثون

## لا رَسائِلَ مِنْ لورْنا

في شَهْرِ فِبْرايِرِ مِنْ ذٰلِكَ العامِ – ١٦٨٥ – تَلَقَّيْنا نَبأَ وَفاةِ المَلِكِ . وَخَشِيتُ أَنْ تَنْدَلِعَ الاضطِراباتُ في بَعْضِ أَنْحاءِ المَمْلَكَةِ ، إِذْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ طائِفَةً كَبيرةً مِنَ النّاسِ لا تُحِبُّ المَلِكَ الجَديدَ جيمس ، وَأَنَّ بَعْضَ النّاسِ يَتَهَيَّأُونَ لِلْقِتالِ ضِدَّهُ بِالفِعْلِ . كَما بَلَغَني أَنَّ دُوق مونْمَوْث سَوْفَ يَأْتي عَبْرَ البَحْرِ قادِمًا مِنْ فَرَنْسا إلى جَنوبِ إِنْجِلْترا ، وَأَنَّ كُلَّ فَلّاحي الجَنوبِ سَوْفَ يَنْضَمُّونَ إِلَيْهِ ضِدَّ المَلِكِ . وَكانَ القَلَقُ يَسودُ المَمْلَكَةَ بِأَسْرِها ، كَما كانَ هُناكَ حَديثٌ بَيْنَ النّاسِ بِأَنَّ القاضيَ جيفْريز سَوْفَ يَأْتي إلى الجَنوبِ لِيَشْنُقَ كُلَّ الَّذينَ يُخَطِّطونَ لِلْحَرْبِ ضِدَّ المَلِكِ الجَديدِ .

مَرَّتْ عِدَّةُ شُهورٍ دونَ أَنْ أَتَلَقّى رِسالةً واحِدةً مِن لورْنا حَتّى إِنَّني ظَنَنْتُ أَنَّها نَسِيَتْني تَمامًا . وَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ عُنْوانَها في لَنْدَن حَتّى أَكْتُبَ لَها ، غَيْرَ أَنَّني كُنْتُ أَتَقَصّى أَخْبارَها مِنَ الجُنودِ وَالتُّجّارِ الَّذينَ يَأْتونَ بَيْنَ الحِينِ وَالآخَرِ مِنْ هُناكَ . وَلَقَدْ ذَكَرَ لي هٰؤُلاءِ أَنَّها اشْتَهَرَتْ في العاصِمةِ بِجَمالِها ، وَأَنَّ عَدَدًا كَبيرًا مِنَ اللّورْداتِ الشُّبّانِ يَسْعى لِلزَّواجِ بِها طَمَعًا في أَمْوالِها .

وَما إِنْ بَلَغَتْني تِلْكَ الأَنْباءُ ، حَتّى اكْتَأَبَتْ نَفْسي ، وَاغْتَمَّ فُؤادي ، وَشَعَرْتُ أَنَّني فَقَدْتُ كُلَّ آمالي .



## الفَصْلُ الحادي وَالثَّلاثونَ

## تُوم فاجَّس يَخْرُجُ لِلْقِتالِ

مَرَّتْ بِضْعَةُ أَيّامٍ ، عانَيْتُ خِلالَها مِنَ اليَأْسِ وَالحُزْنِ . وَجاءَتْني آني ذاتَ صَباحٍ باكِيةً ، وَسَأَلْتُها عَنْ سَبَبِ بُكائِها فَقالَتْ : « آهٍ ، ياجُون . لَقَدْ رَحَلَ زَوْجي تُوم فاجَّس لِيُحارِبَ مَعَ رِجالِ الدُّوق ضِدَّ المَلِكِ ! يَجِبُ أَنْ تَخْرُجَ بَحْثًا عَنْهُ ، وَتَعودَ بِهِ إلى البَيْتِ . » فَأَجَبْتُها : « أَعِدُكِ بِأَنْ أُحاوِلَ ذٰلِكَ بِأَقْصى ما في وُسْعي . »

في اليَوْمِ التّالي غادَرْتُ البَلْدَةَ بَحْثًا عَنْ تُوم . وَبَعْدَ مَسيرةٍ طَويلةٍ أَتَيْتُ إلى بَلْدةِ بِردجْوُتَر فَوَجَدْتُ جَيْشَ الدُّوق مُعَسْكِرًا هُناكَ . وَلَمْ يَكُنْ جَيْشًا بِالمَعْنى الحَقيقيِّ ، فَقَدْ كانَ يَتَأَلَّفُ مِنْ جَماعاتٍ مِنَ الفَلّاحينَ الَّذينَ لَمْ يُدَرَّبوا عَلى القِتالِ ، أَوْ حَتّى عَلى إِطْلاقِ النّارِ .

كُنْتُ مُتْعَبًا جِدًّا ، فَقَصَدْتُ فُنْدُقًا صَغيرًا لِأَقْضيَ فيهِ اللَّيْلَ . وَلَمْ تَلْبَثْ صاحِبةُ الفُنْدُقِ أَنْ أَيْقَظَتْني مِنَ النَّوْمِ قائِلةً : « انْهَضْ ، لَقَدْ بَدَأَتِ المَعْرَكةُ . » وَما إِنْ سَمِعْتُ صَوْتَ إِطْلاقِ النّارِ حَتّى انْطَلَقْتُ عَلى جَوادي عَبْرَ شَوارِعَ جانِبيَّةٍ ضَيِّقةٍ إلى خارِجِ البَلْدةِ ، ثُمَّ واصَلْتُ السَّيْرَ حَتّى أَتَيْتُ مِنْطَقةَ المُسْتَنْقَعاتِ . وَكانَ الضَّبابُ كَثيفًا تَعَذَّرَتْ مَعَهُ رُؤْيةُ الطَّريقِ .

وَصَلْتُ قَرْيةً صَغيرةً تُسَمّى زيلانْد ، وَعَرَفْتُ أَنَّ رِجالَ المَلِكِ كانوا يَبيتونَ فيها ، وَأَنَّهُمْ غادَروها عَقِبَ هُجومِ رِجالِ الدُّوق عَلَيْهِمْ أَثْناءَ اللَّيْلِ .

لَقِيتُ هُناكَ شابًّا يَعْرِفُ طُرُقَ ٱلْمِنْطَقَةِ جَيِّدًا ، فَقادَني إلى مُؤَخَّرةِ جَيْشِ ٱلدُّوقِ . وَكانَتِ ٱلسَّاعَةُ ٱلرَّابِعَةَ صَباحًا حينَ وَصَلْنا أَرْضَ ٱلْمُسْتَنْقَعاتِ ٱلْمَكْشوفَةَ . وَما إنْ طَلَعَتِ ٱلشَّمْسُ حَتَّى رَأَيْتُ عَلى ضَوْئِها مَشْهَدًا مُروِّعًا : رَأَيْتُ رِجالًا فارِّينَ مِنَ ٱلْمَعْرَكَةِ ، وَٱلذُّعْرُ بادٍ في عُيونِهِمْ وَأَجْسادُهُمْ مُلَطَّخَةٌ بِٱلدَّمِ وَٱلتُّرابِ – رِجالًا يَعْدونَ في جُنونٍ ، لا يُريدونَ إلَّا ٱلنَّجاةَ مِنَ ٱلْمَوْتِ . كَما رَأَيْتُ قَتْلى راقِدينَ عَلى ٱلأَرْضِ بِعُيونٍ مَفْتوحَةٍ يُطِلُّ مِنْها ٱلرُّعْبُ ٱلَّذي قاسَوْهُ في لَحَظاتِهِمْ ٱلأَخيرةِ . وَكانوا جَميعًا مِنَ ٱلفَلَّاحينَ ٱلْبُسَطاءِ ٱلَّذينَ لَمْ يُمارِسوا ٱلْحَرْبَ مِنْ قَبْلُ ، وَلَمْ يُمْسِكوا أَبَدًا بِبُنْدُقِيَّةٍ . إنَّهُمُ ٱلآنَ مَوْتى . لَقَدْ ماتوا بَعْدَ أَنْ عانَوْا آلامًا رَهيبةً .

كانَ هٰؤُلاءِ ٱلفارُّونَ يَصيحونَ وَأَنا أَمُرُّ بِهِمْ : « لَقَدِ انْتَهَتِ ٱلْمَعْرَكَةُ – فَقَدْ وَصَلَتْ مِدْفَعِيَّةُ ٱلْمَلِكِ ، وَهِيَ تَحْصُدُ رِجالَنا ٱلآنَ حَصْدًا . »

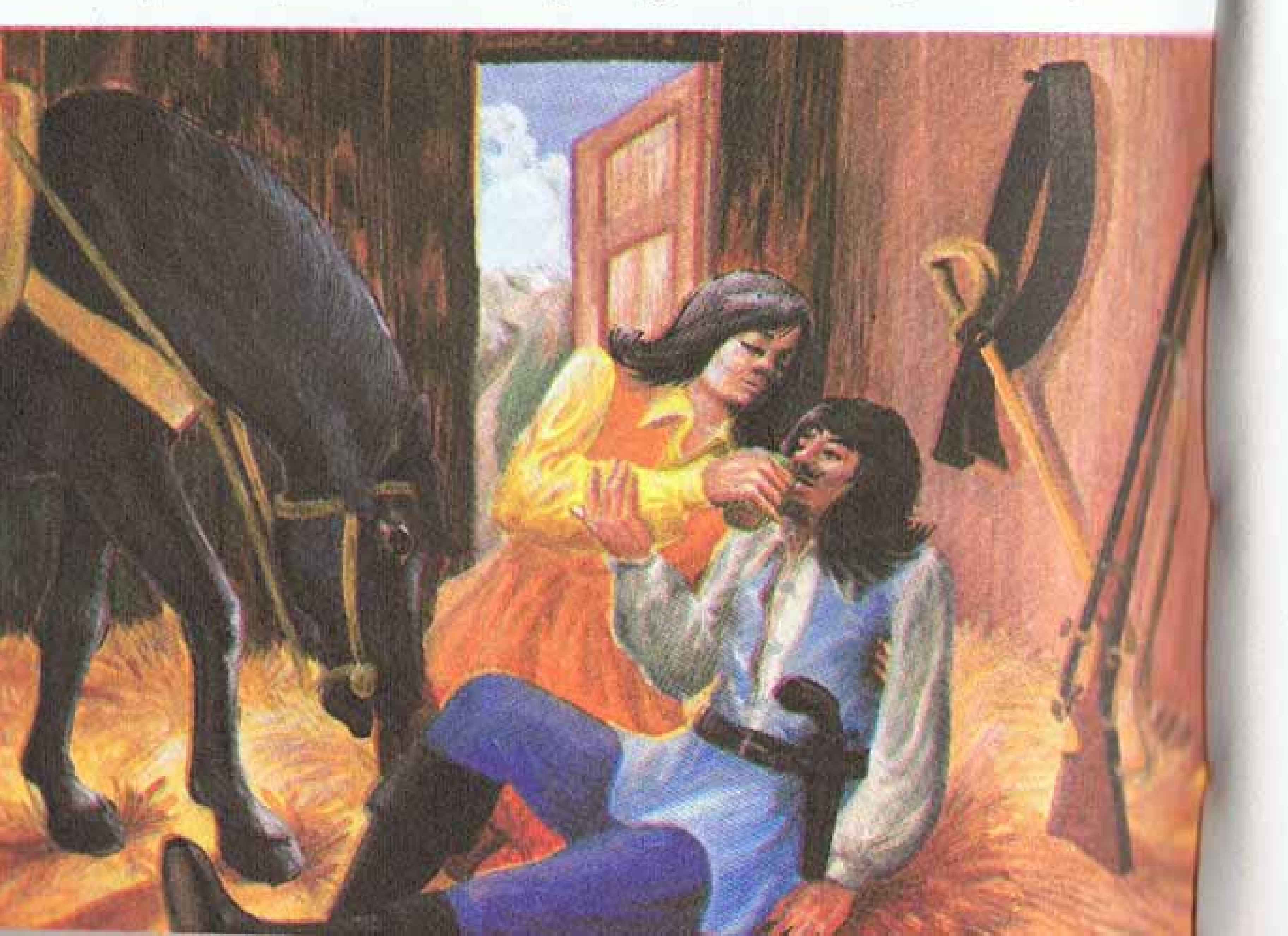
حاوَلْتُ أَنْ أُساعِدَ بَعْضَ ٱلْجَرْحى دامِعَ ٱلْعَيْنَيْنِ . وَناوَلْتُ أَحَدَهُمْ كُوبَ ماءٍ وَهُوَ يَلْفِظُ أَنْفاسَهُ ٱلأَخيرةَ . وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أُطْلِعَ زَوْجَتَهُ عَلى نُقودٍ كانَ قَدْ أَخْفاها في شَجَرةِ تُفَّاحٍ . وَشَعَرْتُ في تِلْكَ ٱلأَثْناءِ بِشَيْءٍ ناعِمٍ يَلْمِسُ خَدِّي وَٱلْتَفَتُّ فَرَأَيْتُ وِني ( فَرَسَ تُوم ) ، وَنَظَرَتِ ٱلفَرَسُ إلَيَّ ، ثُمَّ أَدارَتْ وَجْهَها . وَبَدَتْ وَكَأَنَّها تُريدُ أَنْ تَقولَ لي شَيْئًا . وَرَكَضَتْ بِضْعَ خُطُواتٍ ، ثُمَّ اسْتَدارَتْ وَنَظَرَتْ إلَيَّ مَرَّةً أُخْرى . عِنْدَئِذٍ أَدْرَكْتُ ما كانَتْ تَعْنيهِ ، فَامْتَطَيْتُ حِصاني وَسِرْتُ وَراءَها .

وَصَلْنا إلى خَطِّ ٱلْمَعْرَكَةِ وَرَأَيْتُ رِجالَ ٱلدُّوقِ واقِفينَ لا حَوْلَ لَهُمْ بِجوارِ ضِفَّةِ نَهْرٍ عَجزوا عَنْ عُبورِهِ . وَكانَ ٱلْمَوْقِفُ يَدعو إلى ٱلضَّحِكِ وَٱلرِّثاءِ في آنٍ واحِدٍ : كانَ رِجالُ ٱلدُّوقِ عُزَّلًا مِنَ ٱلسِّلاحِ ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ كانوا يَصيحونَ في جُنودِ ٱلْمَلِكِ ٱلواقِفينَ عَلى ٱلضِّفَّةِ ٱلْمُواجِهةِ قائِلينَ : « هَيَّا اعْبُروا إلَيْنا وَقاتِلونا . » وَلَمْ يَلْبَثِ ٱلجُنودُ أَنْ أَمْطَروهُمْ بِوابِلٍ مِنَ ٱلرَّصاصِ ، فَقَتَلوا ٱلكَثيرينَ مِنْهُمْ .

انْدَفَعَ فُرْسانُ ٱلْمَلِكِ ناحِيَتَهُمْ ، وَخاضوا في صُفوفِهِمْ ، وَداسوا عَلى مَنْ تَبَقَّى مِنْهُمْ حَيًّا بِحَوافِرِ جِيادِهِمْ . وَكانَتْ صَرَخاتُ ٱلقَتْلى وَأَنَّاتُ ٱلْجَرْحى تَصُمُّ ٱلآذانَ .

وَاسْتَأْنَفَتْ وِني ٱلسَّيْرَ ، وَسِرْتُ وَراءَها .

وَقَفَتِ ٱلفَرَسُ أَخيرًا أَمامَ كُوخٍ صَغيرٍ وَصَهَلَتْ في صَوْتٍ خَفيضٍ ،



وَكَأَنَّها تُنادي تُوم . وَلَمَّا لَمْ تَسْمَعْ جوابًا اقْتَحَمَتِ الكُوخَ .

تَبِعْتُها إلى الدَّاخِلِ ، فَرَأَيْتُ تُوم فاجّس راقِدًا مُصابًا بِجُرْحٍ غائِرٍ في جَنْبِهِ الأَيْمَنِ . وَناوَلْتُه قَليلًا مِنَ الماءِ ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ وَرَبَّتَ عَلى فَرَسِهِ قائِلًا : « هَلْ أَصابَ وِني أَذًى ؟ »

أَجَبْتُهُ : « كَلَّا . »

قالَ : « ضَعْني إذًا عَلى ظَهْرِها . »

أَجْلَسْتُهُ فَوْقَ ظَهْرِ الفَرَسِ ، فانْطَلَقَتْ بِهِ وِني بَعيدًا ، وَكانَ يَبْدو أَنَّها تَعْرِفُ طَريقَها جَيِّدًا . وَسُرْعانَ ما اخْتَفَيا عَنِ الأَنْظارِ .

اسْتَلْقَيْتُ عَلى أَريكَةٍ داخِلَ الكُوخِ وَرُحْتُ في النَّوْمِ .



## الفَصْلُ الثَّاني وَالثَّلاثونَ

### أَسيرٌ

نِمْتُ لِمُدَّةِ ثَلاثِ أَوْ أَرْبَعِ ساعاتٍ . وَلَمَّا اسْتَيْقَظْتُ ، رَأَيْتُ الكُوخَ مَليئًا بِالجُنودِ . سارَعْتُ بِقَوْلي : « هٰذا الكُوخُ لَيْسَ مِلْكًا لَكُمْ ، فَما الَّذي جاءَ بِكُمْ إلى هُنا ؟ »

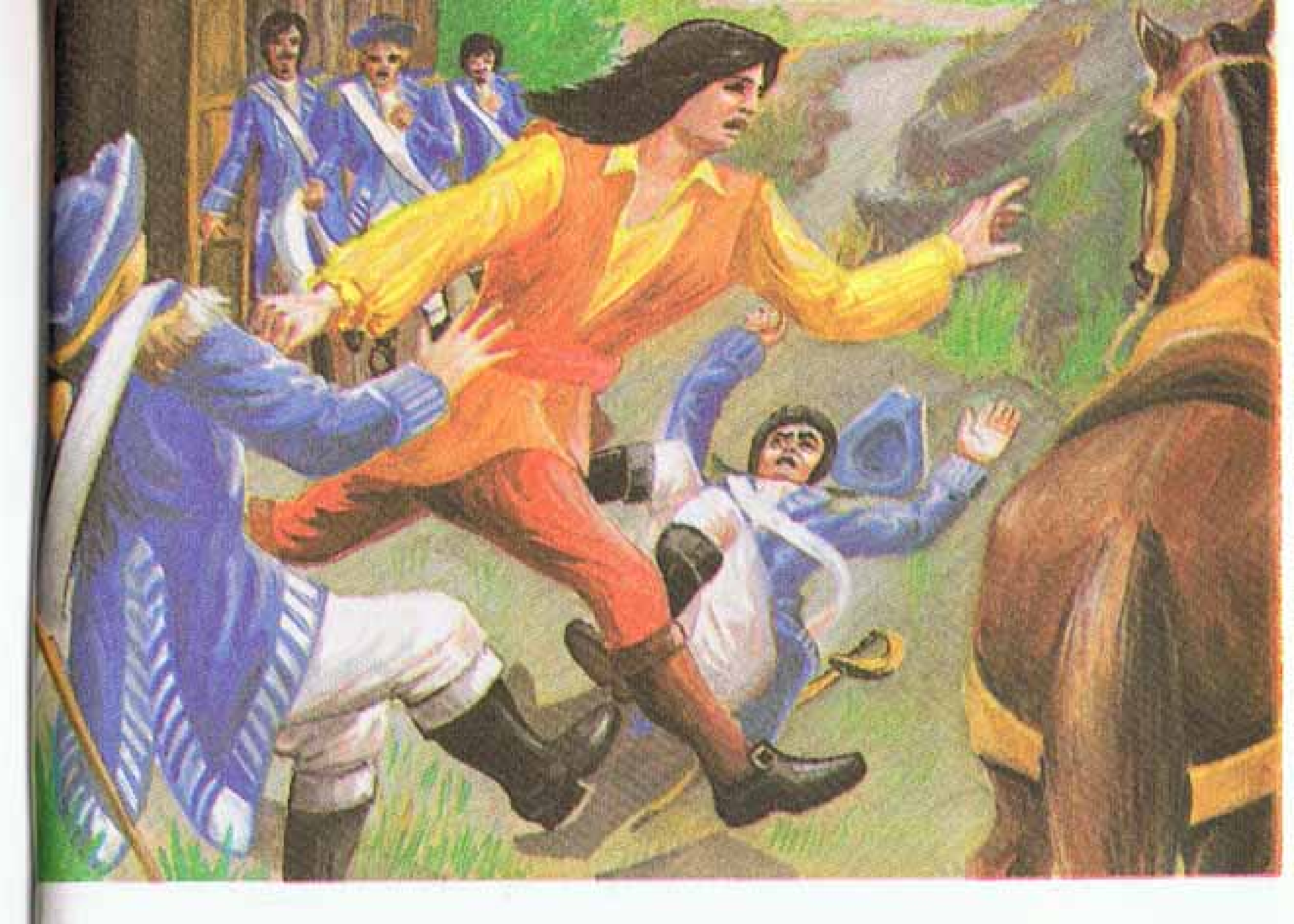
أَجابَ أَحَدُ الجُنودِ : « أَتَيْنا لِكَيْ نَذْهَبَ بِكَ إلى المِشْنَقَةِ . »

قُلْتُ في هُدوءٍ : « إذًا فَلْيَضَعْ كُلٌّ مِنَّا سِلاحَهُ في الخارِجِ ، لِنَرى هَلْ تَسْتَطيعونَ أَنْ تَفْعَلوا ذٰلِكَ بِأَيْديكُمْ فَقَطْ . »

قَهْقَهَ الجُنودُ ساخِرينَ ، فَقَدْ كانَ عَدَدُهُمْ يُقارِبُ العِشْرينَ ، وَكُنْتُ أُواجِهُهُمْ بِمُفْرَدي . وَسُرْعانَ ما قَبِلوا التَّحَدِّيَ ، فَأَلْقَيْنا جَميعًا بِبَنادِقِنا خارِجَ الكُوخِ .

انْدَفَعَ الرَّجُلُ الأَوَّلُ نَحْوي في تَهَوُّرٍ وَحُمْقٍ ، فَأَمْسَكْتُهُ مِنْ قَفاهُ ، وَقَذَفْتُ بِهِ عَلى رُؤوسِ زُمَلائِهِ . ثُمَّ جاءَ الثَّاني وَكانَ رَجُلًا ضَئيلَ الجِسْمِ غَيْرَ مُتَمَرِّسٍ بِأَساليبِ القِتالِ ، فَطَرَحْتُ بِهِ خَلْفَ صاحِبِهِ .

عِنْدَئِذٍ تَخشِيَ الآخَرونَ بَأْسي ، فَتَرَدَّدوا في الهُجومِ ، وَوَقَفوا يَتَشاوَرونَ مَعًا في هَمْسٍ . وَهُنا مَرَقْتُ وَسْطَهُمْ كَالسَّهْمِ ، وَأَنا أَدْفَعُهُمْ ذاتَ اليَمينِ وَذاتَ الشِّمالِ ، وَفي ثَوانٍ مَعْدوداتٍ قَفَزْتُ فَوْقَ ظَهْرِ حِصاني ، وَعَدَوْتُ أُسابِقُ بِهِ



الرِّيحَ . فَأَطْلَقوا بِضْعَ رَصاصاتٍ نَحْوي ، غَيْرَ أَنَّها طاشَتْ جَميعًا ، إِذْ كُنْتُ قَدْ بَعُدْتُ عَنْهُمْ كَثيرًا .

سِرْتُ مَسافةً طَويلةً وَلٰكِنْ سَرْعانَ ما وَقَعْتُ في قَبْضةِ جَماعةٍ أُخْرى مِنْ جُنودِ المَلِكِ قَطَعَتْ عَلَيَّ الطَّريقَ ، وَأَجْبَرَتْني عَلى النُّزولِ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِ حِصاني .

صاحَ الجُنودُ وَهُمْ يُحيطونَ بي : « ها هُوَ ذا أَسيرٌ آخَرُ ! أَسيرٌ ضَخْمٌ ! »

أَصْدَرَ قائِدُهُمْ أَمْرَهُ بِأَنْ أُشْنَقَ عَلى إِحْدى الأَشْجارِ القَريبةِ . وَلَفّوا الحِبالَ حَوْلَ جَسَدي ، وَدَفَعوا بي إِلى الشَّجَرةِ ، فَرَأَيْتُ جُثَّتَيْ رَجُلَيْنِ شُنِقا بِالفِعْلِ .

عِنْدَئِذٍ جاءَ رَجُلٌ مُسْرِعًا عَلى ظَهْرِ حِصانِهِ . وَما إِنْ رَآني حَتّى صاحَ في



الجُنودِ قائِلًا : « ارْفَعوا أَيْدِيَكُمْ عَنْ هٰذا الرَّجُلِ ، فَأَنا أَعْرِفُهُ جَيِّدًا . إِنَّهُ أَسيري أَنا . » ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ قائِلًا :

« هَيّا اتْبَعْني ياجُون رِد ! » كانَ الرَّجُلُ هُوَ جيريمي ستِكِلْز .

وَبَيْنَما كانَ جَوادانا يَسيرانِ مُتَجاوِرَيْنِ عَلى الطَّريقِ ، اقْتَرَبَ مِنّي جيريمي وَهَمَسَ قائِلًا : « لَقَدْ أَنْقَذْتَني يَوْمًا – مِنْ آلِ دون ، وَهٰأَنَذا الآنَ أَرُدُّ إِلَيْكَ الجَميلَ . »

## الفَصْلُ ٱلثَّالِثُ وَٱلثَّلاثون

## ٱلْتَقَيْتُ بِلورْنا

قالَ لي جيريمي ستِكِلز وَنَحْنُ نَسيرُ في ٱلطَّريقِ : « حَذارِ أَنْ تَهْرُبَ مِنّي ياجُون وَإِلّا اسْتَوْلَوْا عَلى مَزْرَعَتِكَ ، وَأَلْقَوا ٱلْقَبْضَ عَلى أُمِّكَ وَشَقيقَتَيْكَ فَهُمْ يَعْرِفونَ اسْمَكَ . »

أَجَبْتُ : « لَنْ أُحاوِلَ ٱلْفِرارَ ، فَأَنا ٱلآنَ أَسيرُكَ ، وَسَوْفَ أَذْهَبُ مَعَكَ إِلى لَنْدَن . »

قالَ جيريمي : « سَوْفَ تُحاكَمُ أَمامَ أَحَدِ ٱلْقُضاةِ في لَنْدَن ، وَسَوْفَ تُعامَلُ بِٱلْحُسْنى . إِنَّهُ مِنَ ٱلحِكْمَةِ أَنْ تَأْتِيَ مَعي . »

رَحَلْنا مَعًا إِلى لَنْدَن . وَكُنْتُ أُفَكِّرُ في لورْنا طَوالَ ٱلرِّحْلَةِ وَأَتَساءَلُ : « أَلا تَزالُ لورْنا تُحِبُّني ؟! »

عِنْدَما وَصَلْتُ إِلى لَنْدَن ، عَلِمْتُ أَنَّ لورْنا تَعيشُ مَعَ عَمِّها ، لورْد براندير ، كَما سَمِعْتُ أَنَّ ٱلمَلِكَةَ تُحِبُّها حُبًّا شَديدًا ، وَأَنَّهُما يَذْهَبانِ إِلى ٱلاحْتِفالاتِ ٱلرَّسْمِيَّةِ مَعًا . وَهٰكَذا تَوَجَّهْتُ إِلى قاعَةِ ٱلاحْتِفالاتِ ذاتَ يَوْمٍ ، وَوَقَفْتُ في ٱلخارِجِ بَيْنَ جُموعِ ٱلقادِمينَ أَمَلًا في رُؤْيَةِ لورْنا وَهِيَ تَدْخُلُ في صُحْبَةِ ٱلمَلِكَةِ .

وَصَلَ ٱلمَلِكُ وَٱلمَلِكَةُ إِلى قاعَةِ ٱلاحْتِفالاتِ في مَوْكِبٍ بَديعٍ ، يَتْبَعُهُما عَدَدٌ



كَبيرٌ مِنَ ٱللّورْداتِ وَٱلعُظَماءِ ، وَتَسيرُ خَلْفَ هٰؤُلاءِ مَجْموعَةٌ مِنْ وَصيفاتِ ٱلمَلِكَةِ ٱلجَميلاتِ ، تَتَوَسَّطُهُنَّ لورْنا . وَبَيْنَما أَنا أَنْظُرُ إِلَيْها ، ٱلْتَفَتَتْ فَوَقَعَ بَصَرُها عَلَيَّ ، وَأَطالَتِ ٱلنَّظَرَ إِلَيَّ بِعَيْنَيْها ٱلجَميلَتَيْنِ ٱلرَّقيقَتَيْنِ .

تَبِعْتُها إِلى داخِلِ ٱلقاعَةِ . وَبَيْنَما أَنا جالِسٌ هُناكَ ، جاءَني رَجُلٌ يَحْمِلُ رِسالَةً قَصيرَةً مِنْها ، تَطْلُبُ فيها أَنْ أَحْضُرَ لِلِقائِها بِمَنْزِلِها في ٱليَوْمِ ٱلتّالي . وَذَهَبْتُ في ٱلمَوْعِدِ ٱلمُحَدَّدِ إِلى مَنْزِلِ لورْد براندير وَفَتَحَتْ جويني كارْفاكْس ٱلبابَ ، وَقادَتْني إِلى حُجْرَةٍ فَسيحَةٍ فاخِرَةِ ٱلأَثاثِ . وَبَعْدَ بُرْهَةٍ قَصيرَةٍ دَخَلَتْ لورْنا .

كُنْتُ مُتَلَهِّفًا لِسَماعِ أَخْبارِها . وَلَمّا عاتَبْتُها عَلى عَدَمِ إِرْسالِ خِطاباتٍ ، قالَتْ : « لَقَدْ كَتَبْتُ لَكَ عِدَّةَ رَسائِلَ مُنْذُ أَنْ وَصَلْتُ إِلى لَنْدَن ، وَلٰكِنَّني ٱكْتَشَفْتُ أَخيرًا أَنَّ جويني قَدْ أَخْفَتْها جَميعًا ، وَأَنَّها لَمْ تَبْعَثْ بِواحِدَةٍ مِنْها إِلَيْكَ لِأَنَّها كانَتْ تُريدُني أَنْ أَتَزَوَّجَ بِلورْد . إِنَّني أَكْرَهُ ٱلحَياةَ في لَنْدَن . إِنَّ ٱلرِّجالَ هُنا يَتَوَدَّدونَ إِلَيَّ مِنْ أَجْلِ مالي فَحَسْبُ . أَنا لا أُفَكِّرُ إِلّا فيكَ ، وَأُريدُكَ أَنْ تَأْتِيَ كَثيرًا لِرُؤْيَتي . »

## الفَصْلُ الرَّابِعُ وَالثَّلاثون

## لُصوصُ اللَّيْلِ

في أُمْسيَّةٍ مِنْ أَماسيِّ شَهْرِ سِبْتِمْبر ، كُنْتُ أَمُرُّ أَمامَ مَنْزِلِ لُورْد براندير فَرَأَيْتُ ثَلاثةَ رِجالٍ يَقِفونَ في ظِلالِ الشَّجَرِ قَريبًا مِنَ المَنْزِلِ . قُلْتُ في نَفْسي : « يَبْدو أَنَّ الرِّجالَ مِنَ اللُّصوصِ .. سَوْفَ أَنْتَظِرُ لِأَكْشِفَ عَمَّا يُدَبِّرونَ . » وَاخْتَبَأْتُ بَيْنَ الظِّلالِ .

أُطْفِئَتِ الأَنْوارُ الَّتي كانَتْ تُشِعُّ مِنْ نَوافِذِ البَيْتِ . وَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ سَمِعْتُ نِداءً خَفيضًا يَأْتي مِنْ وَراءِ إِحْدى الأَشْجارِ القَريبةِ . وَمَرَّ الرِّجالُ الثَّلاثةُ بَعْدَ ذٰلِكَ مُباشَرةً مِنْ أَمامي ، ثُمَّ فُتِحَتْ إِحْدى النَّوافِذِ ، وَمَرَقَ الثَّلاثةُ مِنْ خِلالِها إلى داخِلِ البَيْتِ . وَأَسْرَعْتُ وَدَخَلْتُ وَراءَهُمْ مِنْ نَفْسِ النَّافِذةِ . رَأَيْتُ خادِمةً تَسيرُ حامِلةً مِصْباحًا ، وَمِنْ وَرائِها الرِّجالُ الثَّلاثةُ . وَما إِنْ أَتَوْا إلى غُرْفةِ لُورْد براندير حَتَّى اقْتَحَموا البابَ وَدَخَلوها .

تَسَلَّلْتُ عَلى أَثَرِهِمْ إلى داخِلِ الحُجْرةِ ، فَرَأَيْتُ أَحَدَ الرِّجالِ يُصَوِّبُ بُنْدُقيَّةً إلى لُورْد براندير ، وَأَخَذَ زَميلاهُ يُحاوِلانِ فَتْحَ صُنْدوقٍ ضَخْمٍ . وَقالَ الرَّجُلُ الَّذي يُصَوِّبُ سِلاحَهُ إلى لُورْد براندير : « أَخْبِرْني أَيْنَ المِفْتاحُ وَإِلَّا قَتَلْتُكَ .. سَأَعُدُّ مِنْ واحِدٍ إلى عَشَرةٍ ، ثُمَّ أُطْلِقُ الرَّصاصَ بَعْدَ ذٰلِكَ . »

وَأَجابَ لُورْد براندير : « لَنْ أُخْبِرَكَ بِمَكانِهِ . »

وَبَدَأَ اللِّصُّ في العَدِّ : « واحِد – اثْنان – ثَلاثة ... »



فَانْدَفَعْتُ إلى وَسَطِ الحُجْرةِ ، وَأَطَحْتُ بِبُنْدُقيَّتِهِ بِضَرْبةٍ واحِدةٍ مِنْ عَصاي ، ثُمَّ هَوَيْتُ بِالعَصا عَلى رَأْسِهِ ، فَسَقَطَ فاقِدًا الوَعْيَ .

أَسْرَعَ اللِّصَّانِ الآخَرانِ بِمُهاجَمَتي ، وَبِيَدِ واحِدٍ مِنْهُما بُنْدُقيَّةٌ . فَرَفَعْتُ زَميلَهُما بِسُرْعةٍ خاطِفةٍ عَنِ الأَرْضِ ، وَاتَّخَذْتُهُ ساتِرًا أَحْتَمي خَلْفَهُ . وَأَطْلَقَ اللِّصُّ الَّذي يَحْمِلُ البُنْدُقيَّةَ النَّارَ فَأَصابَتِ الرَّصاصةُ زَميلَهُ الَّذي كُنْتُ أَحْتَمي وَراءَهُ ، فَصَرَعَتْهُ في الحالِ . وَأَمْسَكْتُ بِاللِّصَّيْنِ ، وَقَيَّدْتُ أَيْديَهُما وَأَرْجُلَهُما بِالحِبالِ .

جيءَ بِاللِّصَّيْنِ في الصَّباحِ التَّالي أَمامَ القاضي ، وَكانا رَجُلَيْنِ مَشْهورَيْنِ بِعَدائِهِما الشَّديدِ لِلْمَلِكِ . وَسُرَّ القاضي لِإِمْساكي بِهِما سُرورًا بالِغًا ، وَكَتَبَ خِطابًا لِلْمَلِكِ بِما حَدَثَ – كَما رَوى لُورْد براندير أَيْضًا لِلْمَلِكِ كَيْفَ أَمْسَكْتُ بِهٰذَيْنِ المُجْرِمَيْنِ .

في عَصْرِ ذٰلِكَ اليَوْمِ ، أَتى رَجُلٌ لِيَصْطَحِبَني إلى القَصْرِ المَلَكيِّ ، لِأَمْثُلَ أَمامَ المَلِكِ هُناكَ . فَارْتَدَيْتُ أَفْخَرَ ثِيابي ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ إلى قَصْرِ صاحِبِ الجَلالةِ .

عِنْدَما دَخَلْتُ قاعةَ العَرْشِ ، رَأَيْتُ المَلِكةَ أَيْضًا ، تَجْلِسُ إلى جِوارِ المَلِكِ .

قالَتِ المَلِكةُ وَهِيَ تَتَطَلَّعُ إِلَيَّ : « إِذًا فَأَنْتَ جون رِد ، الَّذي طالَما حَدَّثَتْنا عَنْهُ عَزيزَتُنا لورْنا . »

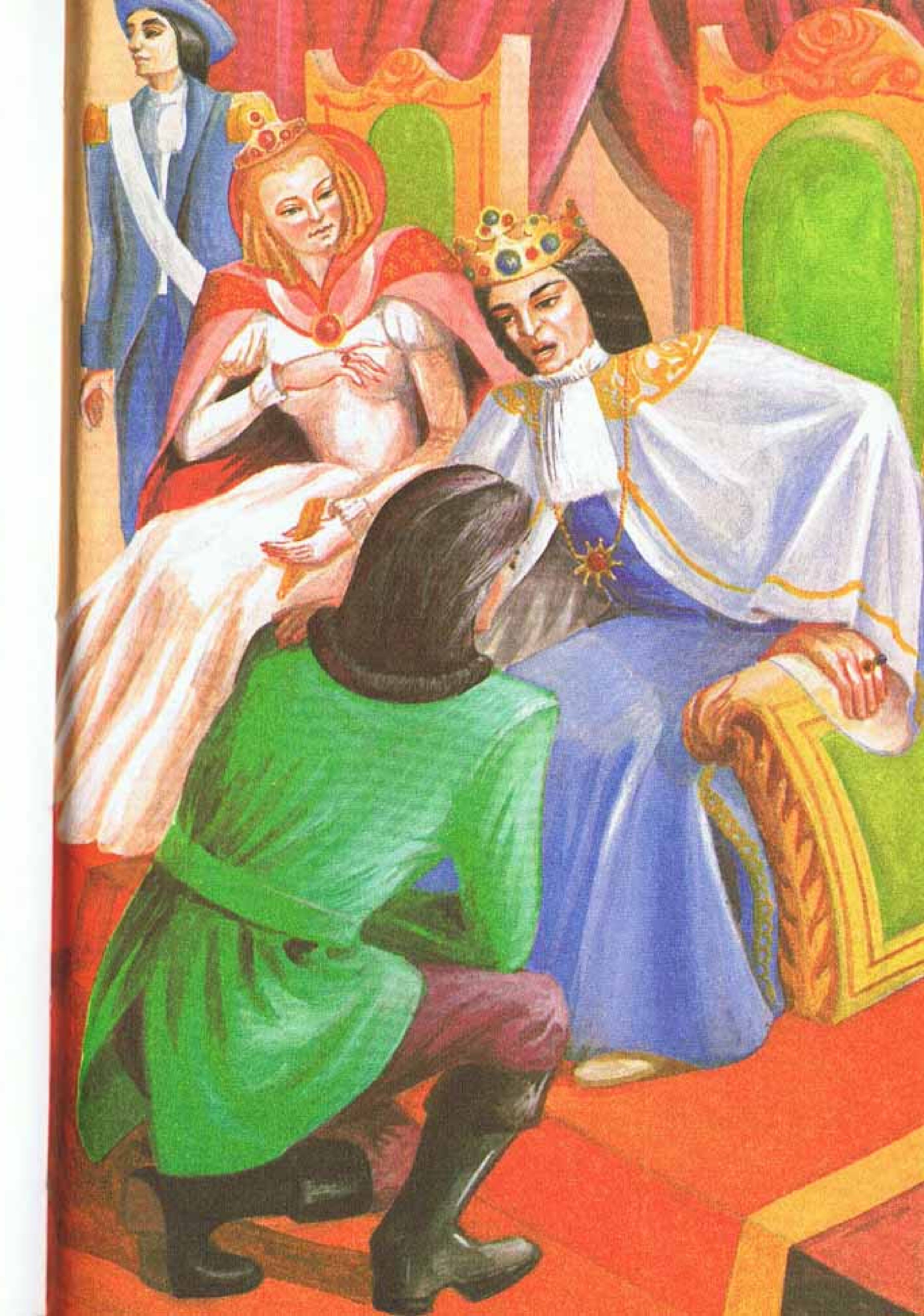
أَضافَ ٱلمَلِكُ : « لَقَدْ أَسْدَيْتَ لي خِدْمةً جَليلةً . هَيَّا ارْكَعْ ، ياجُون رِد ! »

جَثَوْتُ راكِعًا عَلى رُكْبَتَيَّ . وَلَمَسَ ٱلمَلِكُ كَتِفَيَّ ، ثُمَّ قالَ :

« انْهَضْ ، ياسِيْر جُون رِد . »

وَهٰكَذا مَنَحَني ٱلمَلِكُ لَقَبَ سِيْر وَأَصْبَحْتُ بِهٰذا ٱللَّقَبِ مِنْ كِبارِ رِجالِ ٱلدَّوْلَةِ .





## الفَصْلُ الخامِسُ وَالثَّلاثون

## مَعْرَكةُ الوادي الثَّانية

عُدْتُ إلى مَزْرَعَتي حُرًّا ، بَعْدَ أَنْ كَرَّمَني المَلِكُ . وَكُنْتُ حَزينًا لِفِراقِ لُورْنا ، غَيْرَ أَنَّني كُنْتُ مُرَحِّبًا بِالعَوْدةِ ، لِأَنَّني أَنْفَقْتُ في لَنْدَنْ مَبالِغَ كَبيرةً مِنَ المالِ .

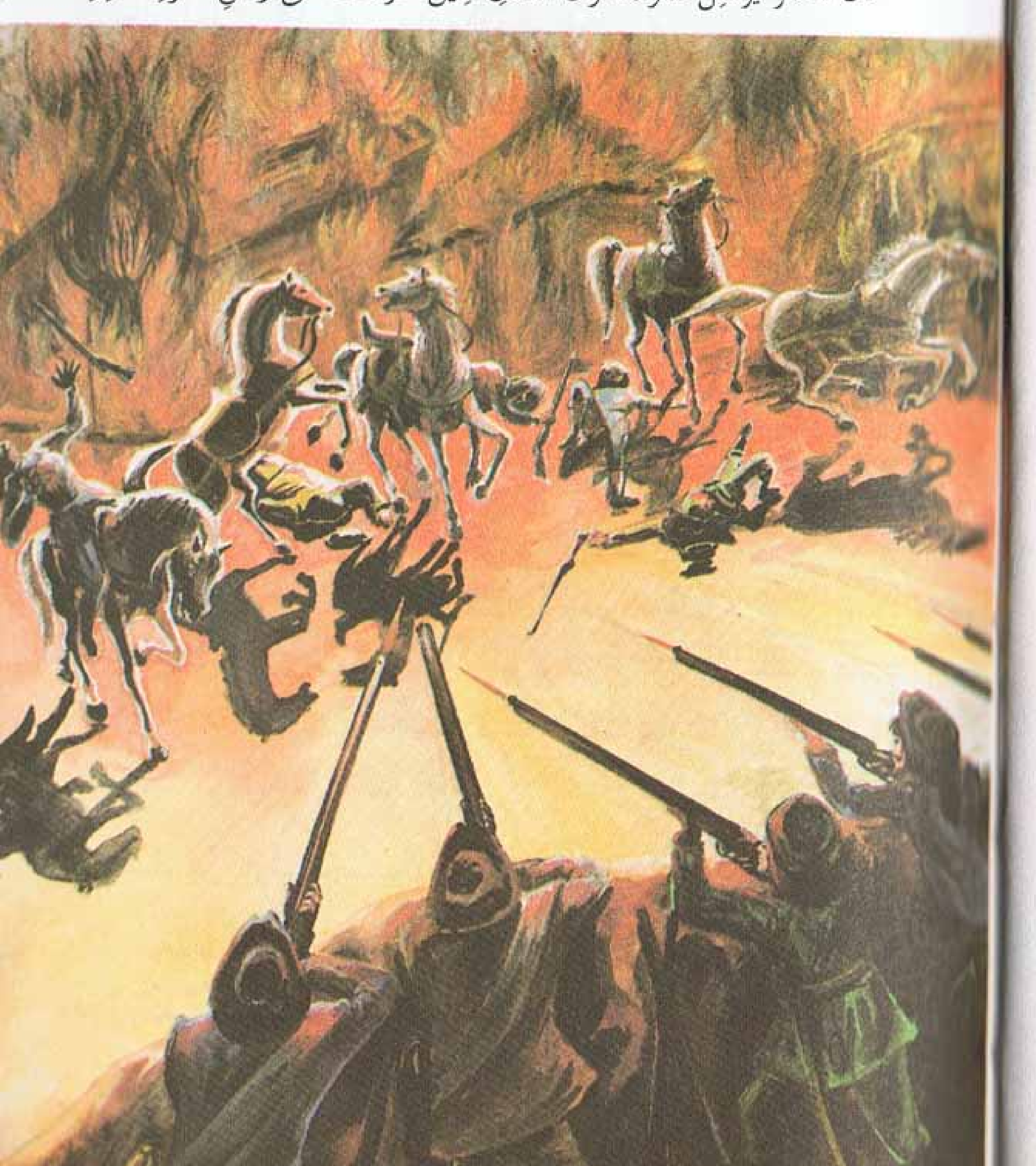
عِنْدَما عُدْتُ إلى المَزْرَعةِ ، أَقامَ النَّاسُ وَليمةً هائِلةً تَكْريمًا لي وَسارَ العَمَلُ في المَزْرَعةِ كَسابِقِ عَهْدِهِ . غَيْرَ أَنَّ آلَ دُون لَمْ يَكُفُّوا عَنِ القَتْلِ وَالسَّلْبِ في المِنْطَقةِ . فَقَدْ هاجَموا بَيْتَ رَجُلٍ يُدْعى كيت باذْكوك وَقَتَلوا زَوْجَتَهُ وَخَطَفوا طِفْلَهُ ، ثُمَّ وَلَّوْا هارِبينَ بَعْدَ أَنْ أَحْرَقوا المَنْزِلَ . وَلَقَدْ أَثارَتْ هٰذِهِ الجَرائِمُ غَضَبَ جَميعِ أَهالي المِنْطَقةِ ، فَتَجَمَّعوا وَقَرَّروا أَنْ يَشُنُّوا الحَرْبَ ضِدَّ آلِ دُون ، لِيَضَعوا نِهايةً لِكُلِّ آلامِهِمْ وَمَتاعِبِهِمْ .

تَمَثَّلَتِ الخُطَّةُ في أَنْ نَبْعَثَ بِأَحَدِ رِجالِنا إلى آلِ دُون لِيُخْبِرَهُمْ أَنَّ جَماعةً مُسافِرةً تَحْمِلُ كَمِّيَّةً كَبيرةً مِنَ الذَّهَبِ ، سَوْفَ تَمُرُّ عَلى الطَّريقِ في لَيْلةٍ مُعَيَّنةٍ . وَعِنْدَما يُغادِرُ آلُ دُون واديَهُمْ في تِلْكَ اللَّيْلةِ لِقَطْعِ الطَّريقِ عَلى المُسافِرينَ وَسَلْبِ الذَّهَبِ المَزْعومِ ، تُهاجِمُ مَجْموعةٌ مِنْ رِجالِنا بَوَّابةَ الوادي ، عَلى حينِ تَكْمُنُ مَجْموعةٌ أُخْرى بِالقُرْبِ مِنْ صَخْرةِ الشَّلَّالِ ( وَهِيَ الصَّخْرةُ الَّتي كُنْتُ أَتَسَلَّقُها فيما مَضى عِنْدَ ذَهابي لِمُقابَلةِ لُورْنا في الوادي ) . وَعِنْدَما يَبْدَأُ القِتالُ بَيْنَ آلِ دُون وَرِجالِنا عِنْدَ البَوَّابةِ ، يُطْلِقُ زَميلٌ لَنا رابِضٌ



عَلى قِمَّةِ التَّلِّ ، هُوَ جُون فراي ، مِدْفَعَهُ ، فَتُسْرِعُ المَجْموعةُ الثَّانيةُ إلى صُعودِ الشَّلَّالِ .

كانَ القَمَرُ يُرْسِلُ ضَوْءَهُ فَوْقَ التِّلالِ حينَ خَرَجْتُ عَلى رَأْسِ القُوَّةِ الثَّانِيةِ



آلمُتَوَجِّهَةِ إلى آلشَّلَّالِ . وَطالَ انْتِظارُنا هُناكَ ، حَتَّى راوَدَني آلشَّكُّ في أَنَّ جُون فراي قَدْ غَلَبَهُ آلنُّعاسُ . وَأَخيرًا سَمِعْنا صَوْتَ آلمِدْفَعِ .

صِحْتُ في رِفاقي قائِلًا : « هَيَّا يارِجالُ ارْفَعوا بَنادِقَكُمْ إلى أَعْلى وَحَذارِ مِنْ أَنْ يُطْلِقَ أَحَدُكُمْ آلنَّارَ عَلى زَميلِهِ وَأَنْتُمْ تَتَسَلَّقونَ . »

وَصَعِدْنا إلى قِمَّةِ آلشَّلَّالِ بِسُرْعَةٍ فائِقَةٍ ، ثُمَّ هَبَطْنا عَلى آلنَّاحِيَةِ آلأُخْرى ، وَتَوَغَّلْنا داخِلَ آلوادي . وَآقْتَحَمْنا مَنْزِلَ كارْفَر ، وَأَشْعَلْنا فيهِ آلنَّارَ . وَرَأَيْتُ هُناكَ وَلَدًا صَغيرًا ، هُوَ ابْنُ كارْفَر ، فَأَنْقَذْتُهُ ، ثُمَّ آنْطَلَقْنا إلى باقي آلمَنازِلِ ، وَأَخْرَجْنا مِنْها آلنِّساءَ وَآلأَطْفالَ ، وَأَشْعَلْنا فيها آلنَّارَ .

صاحَتِ آلنِّساءُ : « إنَّ بَلْدَةَ آلِ دُون تَحْتَرِقُ ! »

وَانْتَشَرَ آلضَّوْءُ آلأَحْمَرُ في أَرْجاءِ آلوادي ، وَآنْعَكَسَ فَوْقَ سَطْحِ آلنَّهْرِ وَفَوْقَ وُجوهِ آلنِّساءِ وَآلأَطْفالِ .

وَكَما تَوَقَّعْنا ، عادَ آلُ دُون مِنَ آلبَوَّابَةِ تارِكينَ عَدَدًا قَليلًا هُناكَ . وَكانَ آلعائِدونَ بِقِيادَةِ تشارْلي دُون . وَرَأَيْناهُمْ بِوُضوحٍ عَلى ضَوْءِ آلنَّارِ ، فَأَطْلَقَ رِجالي آلرَّصاصَ عَلَيْهِمْ . وَشاهَدْتُ كيت بادْكوك يَقْتُلُ تشارْلي ، فَقَدْ كانَ تشارْلي هُوَ آلرَّجُلَ آلَّذي خَطَفَ طِفْلَهُ .

بَحَثْتُ عَنْ كارْفَر فَحَسْبُ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ .

لَنْ أَتَحَدَّثَ كَثيرًا عَنْ هَوْلِ تِلْكَ آلمَعْرَكَةِ ، وَعَمَّا تَخَلَّلَها مِنْ قَتْلٍ مُرَوِّعٍ . وَلٰكِنْ يَكْفي أَنْ أَقولَ إنَّهُ عِنْدَما بَزَغَ آلفَجْرُ ، لَمْ يَكُنْ هُناكَ عَلى قَيْدِ آلحَياةِ مِنْ



آلِ دُون سِوى اثْنَيْنِ هُما آلمُسْتَشارُ وَكارْفَر ، وَأَنَّ بُيوتَ آلوادي أَصْبَحَتْ أَطْلالًا سَوْداءَ يَتَصاعَدُ مِنْها آلدُّخانُ آلكَثيفُ .

بَقِيَ أَنْ أَقُصَّ عَلَيْكُمْ ما حَدَثَ لِباقي آلِ دُون آلَّذينَ كانوا خارِجَ آلوادي أَثْناءَ آلمَعْرَكَةِ :

خَرَجَتْ جَماعَةٌ مِنْهُمْ بِقِيادَةِ كارْفَر لِسَرِقَةِ آلذَّهَبِ آلمَزْعومِ . وَكانَ سيمون هُوَ رَجُلَنا آلَّذي بَعَثْنا بِهِ إلى آلِ دُون لِيُخْبِرَهُمْ بِقِصَّةِ آلذَّهَبِ . وَخَرَجَ مَعَ كارْفَر وَجَماعَتِهِ في تِلْكَ آللَّيْلَةِ ، وَذَهَبَ بِهِمْ إلى مَنْزِلٍ مَهْجورٍ ، كانَ يَأْوي إلَيْهِ آلمُطارَدونَ مِنَ آلمُجْرِمينَ وَآلخارِجينَ عَلى آلقانونِ ، حَيْثُ جَلَسوا يَتَرَقَّبونَ مُرورَ آلمُسافِرينَ آلمَزْعومينَ آلَّذينَ يَحْمِلونَ آلذَّهَبَ . وَطالَ بِهِمْ آلانْتِظارُ دونَ جَدْوى . وَفي أَثْناءِ ذٰلِكَ ، تَمَكَّنَ سيمون مِنْ أَنْ يُغافِلَهُمْ وَيَصُبَّ ماءً داخِلَ بَنادِقِهِمْ فَأَفْسَدَها .

فَجْأَةً داهَمَتْهُمْ جَماعَةٌ مِنْ رِجالِنا داخِلَ آلمَنْزِلِ ، وَصَوَّبَتِ آلبَنادِقَ إلى كُلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ . وَحاوَلَ آلُ دُون إطْلاقَ آلنَّارِ ، وَلٰكِنَّ بَنادِقَهُمْ لَمْ تَنْطَلِقْ . وَحارَبوا بِشَراسَةٍ ، غَيْرَ أَنَّ رِجالَنا تَمَكَّنوا مِنَ آلقَضاءِ عَلَيْهِمْ جَميعًا ، فيما عَدا كارْفَر آلَّذي اسْتَطاعَ أَنْ يَقْفِزَ فَوْقَ ظَهْرِ حِصانِهِ آلضَّخْمِ وَيُفْلِتَ بِهِ مِنْ مَوْتٍ مُحَقَّقٍ .



## الفصلُ السَّادِسُ وَالثَّلاثونَ

## مصرَعُ كارْقَر دُون

عادَتْ لُورْنا مِنْ لَنْدن ، وَكانَ كُلُّ شَيْءٍ مُعَدًّا لِزَواجِنا . وَأَتَتْ إلى الحَفْلِ حُشودٌ كَبيرةٌ مِنَ النَّاسِ .

تَقَدَّمْتُ نَحْوَ جُموعِ النَّاسِ مُتأَبِّطًا ذِراعَ لُورْنا . وَكانَتْ تَرْتَدي ثَوْبَ الزِّفافِ الأَبْيَضَ البَديعَ .

وَضَعْتُ خاتَمَ الزَّواجِ في إصْبَعِها ، فَرَفَعَتْ عَيْنَيْها إلى عَيْنَيَّ . وَلِلتَّوِّ دَوَّتْ طَلْقَةٌ نارِيَّةٌ ، وَسَقَطَتْ لُورْنا على رُكْبَتَيَّ . وَلَطَّخَتْ دِماؤُها ثَوْبَها الأَبْيَضَ ، وَسالَتْ فَوْقَ الأَرْضِ . وَأَرْقَدْتُها بَيْنَ ذِراعَيْ وَالِدتي ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ إلى الخارِجِ لِأُمْسِكَ بِالمُجْرِمِ الَّذي ارْتَكَبَ هٰذِهِ الفَعْلَةَ .. كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ المُجْرِمَ هُوَ كارْقَر دُون !

لَمْ أَكُنْ أَحْمِلُ بُنْدُقِيَّتي ، وَكانَ عَلَيَّ أَنْ أُقاتِلَهُ بِيَدَيَّ . فَقَفَزْتُ إلى ظَهْرِ جَوادي وَصَعِدْتُ بِهِ التَّلَّ . وَرَأَيْتُ أَمامي ، عَلى بُعْدِ رُبْعِ ميلٍ تَقْريبًا ، رَجُلًا يَرْكَبُ حِصانًا ضَخْمًا أَسْوَدَ اللَّوْنِ ، فَأَيْقَنْتُ أَنَّهُ كارْقَر .

قُلْتُ لِنَفْسي : « إمَّا أَنْ أَقْتُلَ كارْقَر أَوْ يَقْتُلَني . »

كانَ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّتَهُ ، كَما كانَ يَحْمِلُ ابْنَهُ الصَّغيرَ إنْسي أَمامَهُ عَلى الجَوادِ . وَتَعَقَّبْتُهُ ، وَهُوَ يَصْعَدُ التَّلَّ ، إلى أَنْ أَتى قُرْبَ المُسْتَنْقَعِ الكَبيرِ . وَهُنا تَوَقَّفَ كارْقَر بُرْهَةً ، ثُمَّ اسْتَدارَ فَرَآني أَعْدو خَلْفَهُ . وَاسْتَحَثَّ جَوادَهُ عَلى الجَرْيِ بِسُرْعَةٍ أَكْثَرَ ، وَلٰكِنَّ التَّعَبَ كانَ قَدْ نالَ مِنَ الجَوادِ . وَكُنْتُ قَدِ انْتَزَعْتُ فَرْعًا مِنْ إحْدى الأَشْجارِ أَثْناءَ مُروري بِها ، وَحَمَلْتُهُ مَعي .

اِسْتَدارَ كارْڤَر بجَوادِهِ وَأَطْلَقَ ٱلنَّارَ ، فَأَصابَتْني ٱلرَّصاصةُ ، غَيْرَ أَنَّني لَمْ أَهْتَمَّ ؛ فَلَمْ أَكُنْ أُفَكِّرُ إِلَّا في عَدُوِّي . وَأَسْرَعْتُ وَراءَهُ ، وَهَوَيْتُ عَلى جَوادِهِ بِضَرْبَةٍ عَنيفةٍ مِنَ ٱلفَرْعِ ٱلضَّخْمِ ٱلَّذي كُنْتُ أَحْمِلُهُ . فَسَقَطَ ٱلجَوادُ عَلى ٱلأَرْضِ ، وَمَعَهُ كارْڤَر . وَلَمْ يَسْتَطِعْ كارْڤَر أَنْ يَنْهَضَ في ٱلحالِ ، فَقَفَزْتُ مِنْ فَوْقِ جَوادي ، وَوَقَفْتُ أَنْتَظِرُ . وَجَرى ٱبْنُهُ ٱلصَّغيرُ نَحْوي وَنَظَرَ إِلَيَّ وَٱلخَوْفُ يَمْلَأُ عَيْنَيْهِ . وَرَبَّتُّ عَلى كَتِفِهِ بِرِقَّةٍ قائِلًا : « يا عَزيزي إِنْسي ، اجْرِ بِسُرْعةٍ فَوْقَ ٱلتَّلِّ ، وَٱنْتَقِ لي بَعْضَ ٱلأَزْهارِ . »

ٱنْطَلَقَ ٱلصَّبِيُّ بَعيدًا عَلى ٱلفَوْرِ .

نَهَضَ كارْڤَر واقِفًا حَوْلَهُ باحِثًا عَنْ بُنْدُقِيَّتِهِ ، غَيْرَ أَنَّني كُنْتُ قَدْ طَوَّحْتُ بِها بَعيدًا . وَهٰكَذا ٱضْطُرَّ لِأَنْ يُواجِهَني بِيَدَيْهِ فَقَطْ .

كانَتْ تَفْصِلُ بَيْنَنا بُقْعَةٌ تَكْسوها ٱلحَشائِشُ . وَأَعْطَيْتُهُ ٱلفُرْصةَ لِأَنْ يَبْدَأَ بِٱلهُجومِ . وَفَجْأَةً أَحاطَني بِذِراعَيْهِ ٱلقَوِيَّتَيْنِ ، وَضَغَطَ بِشِدَّةٍ هائِلةٍ عَلى جَسَدي ، فَكَسَرَ لي ضِلْعًا . وَلٰكِنَّني أَطْبَقْتُ عَلى عُنُقِهِ بِكِلْتا يَدَيَّ . وَحاوَلَ جاهِدًا أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنّي فَلَمْ يُفْلِحْ . وَبَعْدَ لَحَظاتٍ عَجَزَ تَمامًا عَنِ ٱلحَرَكةِ ، فَطَوَّحْتُ بِهِ بَعيدًا عَنّي .

وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ في ٱزْدِراءٍ قائِلًا : « يَكْفيكَ هٰذا ٱلعِقابُ يا كارْڤَر ! إِنَّكَ مَهْزومٌ ، وَسَأَصْفَحُ عَنْكَ . »

لٰكِنَّ قَدَمَيْهِ كانَتا قَدِ ٱنْزَلَقَتا في ٱلمُسْتَنْقَعِ ، وَأَخَذَ يَغوصُ بِبُطْءٍ ، فَٱرْتَمى عَلى ظَهْرِهِ باسِطًا ذِراعَيْهِ ناحِيَةَ ٱلسَّماءِ ، وَلٰكِنَّني عَجَزْتُ عَنْ مُساعَدَتِهِ أَوْ إِنْقاذِهِ – فَقَدِ ٱبْتَلَعَهُ ٱلمُسْتَنْقَعُ .



## الفَصْلُ ٱلسَّابِعُ وَٱلثَّلاثونَ

## خاتِمةُ ٱلقِصَّةِ

اِمْتَطَيْتُ جَوادي ، وَعُدْتُ إِلى ٱلبَيْتِ أَحْمِلُ مَعي وَلَدَ كارْڤَر ٱلصَّغيرَ . كُنْتُ أَسيرُ نَحْوَ ٱلمَنْزِلِ ، وَكَأَنَّني في حُلْمٍ مُزْعِجٍ ، فَلَمْ يَكُنْ يَشْغَلُ تَفْكيري سِوى مَوْتِ لُورْنا . وَما إِنْ وَصَلْتُ إِلى بابِ ٱلبَيْتِ حَتَّى سَقَطْتُ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِ ٱلجَوادِ . وَسارَعَتْ أُمِّي تُعاوِنُني عَلى ٱلدُّخولِ .

صِحْتُ : « لَقَدْ قَتَلْتُهُ .. قَتَلْتُهُ كَما قَتَلَ لُورْنا . وَٱلآنَ ، دَعوني أَراها . إِنَّها لي أَنا .. لي أَنا حَتَّى بَعْدَ ٱلمَوْتِ ! »

قالَتْ أُمِّي : « لٰكِنَّها لَمْ تَمُتْ ، كَما أَنَّهُ يَجِبُ أَلَّا تَراها وَأَنْتَ بِهٰذا ٱلشَّكْلِ ، وَجَسَدُكَ كُلُّهُ مُلَطَّخٌ بِٱلدَّمِ . » ، ثُمَّ قادَتْني إِلى غُرْفَتي .

رَقَدَتْ لُورْنا في فِراشِها عِدَّةَ أَيَّامٍ بَيْنَ ٱلحَياةِ وَٱلمَوْتِ ، وَلٰكِنَّها أَخَذَتْ تَسْتَرِدُّ صِحَّتَها بِبُطْءٍ .

كُنْتُ راقِدًا مَريضًا في فِراشي ، أَتَطَلَّعُ في حُزْنٍ إِلى يَدَيَّ ٱللَّتَيْنِ كانَتا قَوِيَّتَيْنِ ، وَتَبْدوانِ ٱلآنَ ضَعيفَتَيْنِ مِثْلَ يَدَيْ طِفْلٍ صَغيرٍ ، حينَ دَخَلَتْ أُخْتي آني ٱلغُرْفَةَ وَبِصُحْبَتِها لُورْنا . وَلَمْ تَلْبَثْ آني أَنْ غادَرَتِ ٱلحُجْرَةَ ، وَأَغْلَقَتِ ٱلبابَ وَراءَها . وَٱقْتَرَبَتْ مِنّي لُورْنا ، وَرَبَّتَتْ عَلى يَدي ، وَعِنْدَئِذٍ شَعَرْتُ بِٱلحَياةِ تَعودُ إِلَيَّ .

وَهٰكَذا تَنْتَهي قِصَّتُنا . غَيْرَ أَنَّ حُبَّنا وَسَعادَتَنا – كَزَوْجَيْنِ – لَمْ يَكُنْ لَهُما نِهايَةٌ . فَكانَ جَمالُ لُورْنا وَرِقَّتُها يَزْدادانِ عامًا بَعْدَ عامٍ ، وَيَزْدادُ مَعَهُما حُبُّنا وَسَعادَتُنا .



## الروايات المشهورة

١ ـ جين إير
٢ ـ فرانكنشتاين
٣ ـ مونفليت
٤ ـ دراكـولا
٥ ـ لورنـا دون
٦ ـ دكتور جيكل ومستر هايد





مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت
رقم مرجع كمبيوتر 01 C 198 105